الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٥٣ - ٩ يوليو سنة ١٩٣٤ - السنة الثانية

2 me Année, No. 53.

Lundi-9-7-1934

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

العـــدد ٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ — ٩ يوليو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة		
١١٢١	بين أسلوبين	احمد حسن الزيات
١١٢٣	حديث قطين	الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١١٢٦	من روائع عصر الأحياء	الأستاذ محمد عبد الله عنان
١١٢٩	دق على الخشب	« ن . ش »
١١٣١	مصطفى كمال وموسوليني	« ج . مولود »
١١٣٣	الأدب كما ينبغى أن يكون	الأستاذ أحمد أحمد بدوى
١١٣٦	زرياب	محمد قدرى لطفى
١١٣٨	فن البناء عند المصريين والاغريق	محمد علوى
١١٣٩	بين المعرى ودانتى	محمود أحمد النشوى
١١٤١	المحلة الكبرى منشستر مصر	مندوب الرسالة
١١٤٢	الشيخ أحمد أبو الفرج الدمنهورى	المغفور له أحمد تيمور باشا
١١٤٤	الشيخ زين المرصفى	
١١٤٥	طرفة بن العبد	الأستاذ بشير الشريقى
١١٤٧	البلبل المسحور (قصيدة)	أنور العطار
١١٤٨	عود إلى محمد إقبال	الدكتور عبد الوهاب عزام
١١٥٠	الشاعر الايطالى ليوباردى	الأستاذ خليل هنداوى
١١٥٣	تغير شكل الأرض من الكروية	نعيم على راغب
١١٥٥	الدون جوان (قصة) لموليير	ترجمة حامد أسعد محمد
١١٥٧	سعادة لم تتم (قصة)	عبد الوهاب الخطيب

بين أسلوبين . . .

بين الاطناب الذى تؤثره (الوادى) ، وبين الايجاز الذى تحبه (الرسالة) ، كادت تضيع صداقة رسخت قواعدها على الاكبار والحب ، وتأكدت أسبابها على الخفض والشدة ، وتمكنت ألفتها على ربع قرن من الزمان المضطرب تغيرت فيه مودّات الأخوة ، وتنكرت قلوب الجماعات ، وتحللت روابط الأمم .

وجملة الأمر أن صديقى طه قد بنى قصة من الأدب الجميل على رسالتين خاصتين أرسلها اليه الأستاذ توفيق الحكيم ، ثم نشرها ونشرهما فى الوادى ؛ فلما أصبح كل ذلك للجمهور والتاريخ جاءت الرسالة فنشرته ، لأنها كما قلت فى العدد الماضى كانت مسرحًا لهذه الرواية ، فمن حق قرائها أن يشهدوا فصلها الأخير ، ولأنها سجلٌ لألوان الأدب الحديث ، فمن حق الأدب أن نسجل فى تاريخه ما يقع بين رجاله من الخلاف الجدى فيه كاملاً غير منقوص . وان بقى لأصحاب الظنون والفروض سبب ثالث فلن يكون غير تعصب الصديق للصديق . وكان الأستاذ توفيق الحكيم فيما بين ذلك قد نشر بيانه الذى نقلناه فى الأسبوع الماضى عن

الوادي بعنوان (خصومة) ، فلم يُتَحْ لى الاطلاع عليه لحالة خاصة صرفتنى عن قراءة الصحف ذلك اليوم . ولو كنت قرأته وقرأت بجانبه تعريض الدكتور بالأستاذ فى مقاله (أخلاق الأدباء) لشق على فهمى أن يستنتج من المقالين عودة الصفاء وزوال الجفوة

تصافى الصديقان إذن على غير علم من الوادي ولا من الرسالة ، فلما رأى الأستاذ الحكيم عودة المقالة فى الرسالة خالجته فى الصفاء ريبة ، وأراد صديقى الدكتور أن يجلو شبهة الأمر ، ويخرج من تبعة النشر ، ويترضى الغاضب المرتاب ، فأرسل إلىَّ كلمته العاتبة تتنمر على صفحة الوادي

كان المألوف فى مثل هذه الحال أن يقف العتاب عند الترضى والتنصل ، ولكن الأسلوب المطنب الذى يؤثره صديقى من خصائصه التدفق ، والتدفق لا يخلو من كدورة ، فأخذ يولد من العتاب ويفرع فيه ، حتى خرج به إلى التلويح والتجريح والاستعداء ، لأننى نشرت ما نشرت بغير اذنه . علقت على هذا (العتاب) الموجع بأن صديقى طه استغل حيائى منه ووفائى له فى ارضاء الحكيم وانصاف الوادي ، لأنه يعتقد انى اذا عاتب واشتد لا أجيب ، واذا أجبت لا أعيب ؛ ولكن الأسلوب الموجز الذى اصطنعته كان على ما يظهر أقرب الى الاخلال والغموض ، لأن صديقى لم يفهم (الاستغلال) على الصورة التى اقتضاها المقام وبالمعنى الذى قصدته ، وانما فهمه بمعناه الشنيع الذى لا يكون بين أخوين ، ثم رتب على هذا الفهم فى رده على تعليقى ما رتب مما لا أعده موجهاً إلىَّ ما دام قائماً على هذا الأساس !

فأنت ترى أن أكثر ما حدث انما نشأ من أسلوبين استعمل كل منهما فى غير موضعه ، وان الأمر كله ما كان ليقع لولا حرفة الصحافة التى تغرى بالنشر كما يغرى على القتل حمل المسدس . فان أكثر من هذا يقع كل يوم بين الأصدقاء والاخوة فتزيله كلمة فى التليفون أو تحية عند اللقاء

قال الذين وقفوا على ملابسات هذا الأمر انى اذا كنت أخطأت فى نشر المقالة وهى عامة ، فان صديقى أخطأ فى نشر الرسائل وهى خاصة ، وما يُسَوِّغ موقفه من الحكيم يسوغ موقفى منه . ولكنى لا أقول هـذا القول ولا أستعين به ، فإن الواقع أن ما صرفنى عن الاستئذان فى النشر إنما هو اعتقادى بارتفاع الكلفة بين طه والزيات ، وبين الوادي والرسالة

* * *

أما بعد ، فإذا جاز لهبَّة الريح أن تزعزع الجبل ، أو لحبة الرمل أن تكدر البحر ، جاز لنشر مقال أدبى من غير إذن أن ينال من صداقة رفيقَى الصبى وخدينَى الشباب ، فينتزع المحبة من خلال النفس ، ويقتلع العلاقة من صميم القلب ، ويقتطع الماضى من حساب الزمن ، بالسهولة التى تنشر بها كلمة فى صحيفة !

وما كان ليقع فى الوهم أن قلبين ألفت بينهما براءة النشأة ، وطول الصحبة ، ووحدة الهوى ، وطبيعة الثقافة ، يجرى بينهما من سوء التفاهم ما يجرى بين القلوب المتناكرة والصلات الحديثة !

كذلك ما كان ليسبق الى الظن أن صديقى الذى لم تكشف الحوادث والأيام منه إلا شعوراً سليما وخلقاً كريماً وذكاء متقدا وضميراً يقظاً ونفسا طيبة ، يخضع لأثر الحر وثقل العمل وعنت الظروف ، فيقول فى صديقه ما لا يحب ، ويرميه بما لا يعتقد !

أخى طه !

إن بينى وبينك ماضياً جليلاً لا تمحوه طوارئ الحاضر الحقير ، وصداقة خالصة لا تكدرها شوائب الظن السوء ، وذمة وثيقة لا تخفرها بوادر الكلام السريع ، وإخْوَةً كراماً جزعوا لهذا الخلاف ويسرهم أن ينقضى

وإذا أمكنك أن تجد فى ذاكرتك القوية المعجزة غميزة فى خلق أخيك على طول عهدك به ، كنت خليقاً أن تطيع فيه نوازى الغضب ، وتقبل عليه شواهد الظن ، وتسلكه فى ذوى الخلق المعوج والطبع اللئيم !

أما اذا كان من طبيعة الصحافة أن تعبث بكل ما بقى بيننا وهو الود ، وتعتدى على كل ما بقى لنا وهو الخلق ، وتمتد الى رأس مالنا الوحيد وهو الشرف ، فادع الله لى ولك أن يخرجنا منها ، ويغنينا عنها ، ويحفظ البقية من عمرنا الكادح فى كنف رعايته وفضله .

احمد حسن الزيات

حديث قطين

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

جاء في امتحان شهادة إتمام الدراسة الابتدائية لهذا العام في موضوع الانشاء ما يأتي :

« تقابل قِطّان أحدهما سمين تبدو عليه آثار النعمة ، والآخر نحيف يدل منظره على سوء حاله ؛ فماذا يقولان إذا حدث كل منهما صاحبه عن معيشته ؟ »

وقد حار التلاميذ الصغار فيما يضعون على لسان القِطين ، ولم يعرفوا كيف يوجهون الكلام بينهما ، وإلى أيّ غاية ينصرف القول في محاورتهما ؛ وضاقوا جميعاً وهم أطفال — أن تكون في رءوسهم عقول السنانير ؛ وأعياهم أن تنزل غرائزهم الطيبة في هذه المنزلة من البهيمية ومن عيشها خاصة ، فيكتنهوا تدبير هذه القِطاط لحياتها ، وينفذوا إلى طبائعها ، ويندمجوا في جلودها ، ويأكلوا بأنيابها ، ويمزقوا بمخالبها .

قال بعضهم : وسخطنا على أساتذتنا أشد السخط ، وعبناهم بأقبح العيب ؛ كيف لم يعلمونا من قبل — أن نكون حميراً ، وخيلاً ، وبغالاً ، وثيراناً ، وقردة ، وخنازير ، وفئراناً ، وقططة وما هب ودب ، وما طار ودرج ، وما مشى وانساح ؛ وكيف — ويحهم — لم يلقنونا مع العربية والانجليزية لغات النهيق ، والصهيل ، والشحيج ، والخوار ، وضحك القرد ، وقُباع الخنزير ، وكيف نصِيء ونموء ، ونلغط لَغَط الطير ، ونفحّ فحيح الأفعى ، ونكشّ كشيش الدّبابات ، إلى ما يتم به هذا العلم اللغوي الجليل الذي تقوم به بلاغة البهائم والطير والحشرات والهمج وأشباهها ..؟

وقال تلميذ خبيث لأستاذه : أما أنا فأوجزتُ وأعجزت ، قال أستاذه : أجدت وأحسنت ، ولله أنت ! وتالله لقد أصبت ! فماذا كتبت ؟ قال كتبت هكذا :

يقول السمين : ناوْ ، ناوْ ، ناوْ . . . فيقول النحيف : نَوْ ناوْ ، نَوْ . . فيرد عليه السمين : نَوْ ، ناوْ ، ناوْ . . فيغضب النحيف ، ويكشر عن أسنانه ، ويحرك ذيله ويصيح : نَوْ ، نَوْ ، نَوْ . . . فيلطمه السمين فيخدشه ويصرخ : ناوْ . . . فيثب عليه النحيف ويصطرعان وتختلط « النَّوْنَوَة » لا يمتاز صوت من صوت ، ولا يبين معنى من معنى ، ولا يمكن الفهم عنهما في هذه الحالة إلا بتعب شديد بعد مراجعة قاموس القِطاط . . !

قال الأستاذ : يابنيّ ، بارك الله عليك ! لقد أبدعت الفن إبداعاً فصنعت ما يصنع أكبر النوابغ ، يظهر فنه باظهار الطبيعة وإخفاء نفسه ؛ وما ينطق القطّ بلغتنا إلا معجزة لنبيّ ، ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فلا سبيل إلا ما حكيت ووصفت ، وهو مذهب الواقع ، والواقع هو الجديد في الأدب ؛ ولقد أرادوك تلميذاً هِراً ، فكنت في إجابتك هِراً إستاذاً ، ووافقت السنانير ، وخالفت الناس ، وحقّقت للمتحنين أرقى نظريات الفن العالي ، فان هذا الفن إنما هو في طريقة الموضوع الفنية ، لا في تلفيق المواد لهذا الموضوع من هنا وهناك ؛ ولو حفظوا حرمة الأدب ، ورعوا عهد الفن لأدركوا أن في أسطرك القليلة كلاماً طويلاً بارعاً في النادرة والتهكم ، وغرابة العبقرية ، وجمالها وصدقها ، وحسن تناولها ، وإحكام تأديتها لما تؤدي ؛ ولكن ما الفرق يابنيّ بين « ناوْ » بالمد ، و « نَوْ » بغير مد ؟ . . . قال التلميذ : هذا عند السنانير كالاشارات التلغرافية : شرطة ونقطة وهكذا . قال يابني ولكن وزارة المعارف لا تقرّ هذا ولا تعرفه ، وإنما يكون المصحح أستاذاً لا هِراً . . . والامتحان كتابي لا شفوي . قال الخبيث : وأنا لم أكن هِراً بل كنت إنساناً ، ولكن الموضوع حديث قِطين ، والحكم في مثل هذا لأهله القائمين به ، لا المتكلفين له ، المتطفلين عليه ؛ فان هم خالفوني قلت لهم : اسألوا القِطاط ؛ أو لا فليأتوا بالقطين : السمين والنحيف ، فليجمعوا بينهما ، وليحرّشوها ثم ليحضروا الرقباء هذا الامتحان ، وليكتبوا عنهما ما يسمعونه وليصفوا منهما ما يرونه ، فوالذي خلق السنانير والتلاميذ والمتحنين والمصححين جميعاً — ما يزيد الهرّان على « نَوْ ، وناوْ » ولا يكون القول بينهما إلا من هذا ، ولا يقع إلا ما وصفت ، وما بُدّ من المهارشة والمواثبة بما في طبيعة القوى والضعيف ، ثم فرار الضعيف مهزوماً ، وينتهي الامتحان !

* * *

إن مثل هذا الموضوع يشبه تكليف الطالب الصغير خلق هِرتين ، لا الحديث عنهما ؛ فان إجادة الانشاء في مثل هذا الباب ألوهية عقلية تخلق خلقها السويّ الجميل نابضاً حياً كأنما وضعت

فى الكلام قلب زهر ، أو جاءت بالهر له قلب من الكلام . وأين هذا من الأطفال فى الحادية عشرة والثانية عشرة وماحولها ؟ وكيف لهم فى هذه السن أن يمتزجوا بدقائق الوجود ، ويداخلوا أسرار الخليقة ، ويصبحوا مع كل شىء رهناً بعلله ، وعند كل حقيقة موقوفين على أسبابها . وقد قيل لهم من قبل فى السنوات الخالية « كن زهرة وصف . واجعل نفسك حبة قمح وقل » وإنما هذا ونحوه غاية من أبعد غايات النبوة أو الحكمة ؛ إذ النبيّ تعبير إلهى تتخذه الحقيقة الكاملة لتنطق به كلمتها التى تسمى الشريعة ، والحكيم وجه آخر من التعبير ، تتخذه تلك الحقيقة لتلقى منه الكلمة التى تسمَّى الفن .

وقد كان فى القديم امتحان مثل هذا ، لم ينجح فيه إلا واحد فقط من آلاف كثيرة ؛ وكان الممتحن هو الله جل جلاله ؛ والموضوع حديث النملة مع النمل ؛ والناجح سليمان عليه السلام « قالت نملة : يأيها النمل ، أدخلوا مساكنكم ، لا يحطمنّكم سليمانُ وجنودُه وهم لايشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها »

إن الكون كله مستقر بمعانيه الرمزية فى النفس الكاملة ؛ إذ كانت الروح فى ذاتها نوراً ، وكان سر كل شىء هو من النور والشعاع يجرى فى الشعاع كما يجرى الماء فى الماء ، وفى امتزاج الأشعة من النفس والمادة تجاوب روحانى هو بذاته تعبير فى البصيرة وإدراك فى الذهن ، وهو أساس الفن على إختلاف أنواعه : فى الكلمة والصورة ، والمثال والنغْمة ؛ أى الكتابة والشعر والتصوير والحفر والموسيقى .

ومن ذلك لايكون البيان الغالى أتمّ إشراقاً إلا بتمام النفس البليغة فى فضيلتها أو رذيلتها على السواء ؛ فان من عجائب السخرية بهذا الانسان أن يكون تمام الرذيلة فى أثره على العمل الفنى — هو الوجه الآخر لتمام الفضيلة فى أثره على هذا العمل ؛ والنقطة التى ينتهى فيها العلوُّ من محيط الدائرة هى بعينها التى يبدأ منها الانحدار إلى السُّفْل ؛ ومن ثم كانت الفنون لا تُعتبر بالأخلاق ، حتى قال علماؤنا : إن الدين عن الشعر بمعزل . فالأصل هناك سمو التعبير وجماله ، وبلاغة الأداء وروعتُها ؛ ولا يكون السؤال الفنى ما هى قيمة هذه النفس ، ولكن ماطريقتها الفنية ؟ وأى عجيب فى ذلك ؟ أليس لجهنم حق فى كبار أهل الفن ، كما للجنة حق فى نوابغه ؛ وإذا قالت الجنة : هذه فضائل البليغة ؛ أفلاتقول الجحيم

وهذه بلاغة رذائلى . وكيف لعمرى يستطيع إبليس أن يؤدى عمله الفنى . . ويصور بلاغته العالية إلا فى ساقطين من أهل الفكر الجميل ، وساقطات من أهل الجسم الجميل ؟ . .

* * *

لقد بعدنا عن القطين ، وأنا أريد أن أكتب من حديثهما وخبرها .

كان القط الهزيل مرابطا فى زقاق ، وقد طارد فأرة فانحجرت فى شق ، فوقف المسكين يتربص بها أن تخرج ، ويؤامر نفسه كيف يعالجها فيبترّها ، وما عقل الحيوان إلا من حرفة عيشه لا من غيرها . وكان القط السمين قد خرج من دار أصحابه يريد أن يفرّج عن نفسه بأن يكون ساعة أو بعض ساعة كالقططة بعضها مع بعض ، لا كأطفال الناس مع أهليهم وذوى عنايتهم . وأبصر الهزيلَ من بعيد فأقبل يمشى نحوه ، ورآه الهزيل وجعل يتأمله وهو يتخالَع تخالُع الأسد فى مشيته وقد ملأ جلدته من كل أقطارها ونواحيها ، وبسطته النعمة من أطرافه ، وانقلبت فى لحمه غِلظا ، وفى عصبه شدةً ، وفى شعره بريقاً ، وهو يموج فى بدنه من قوة وعافية ، ويكاد إهابه ينشق سِمناً وكدْنة . فانكسرت نفس الهزيل ، ودخلته الحسرة ، وتضعضع لمرأى هذه النعمة مرحة مختالة . وأقبل السمين حتى وقف عليه ، وأدركته الرحمة له إذ رآه نحيفاً متقبضاً ، طاوىَ البطن ، بارز الأضلاع ، كأنما همّت عظامه أن تترك مسكنها من جلده لتجد لها مأوى آخر . فقال له : ماذا بك ، ومالى أراك مُتيَبساً كالميت فى قبره غير أنك لم تمت ، ومالك أعطيت الحياة غير أنك لم تحى ، أوليس الهر منا صورة مختزلة من الأسد ، فمالك — ويحك — رجعت صورة مختزلة من الهر ؟ أفلا يسقونك اللبن ، ويطعمونك الشحمة واللحمة ، ويأتونك بالسمك ، ويقطعون لك من الجبن أبيض وأصفر ، ويفتون لك الخبز فى المرق ، ويؤثرك الطفل ببعض طعامه ، وتدللك الفتاة على صدرها ، وتمسحك المرأة بيديها ، ويتناولك الرجل كما يتناول ابنه . ؟ ومالجلدك هذا منبراً كأنك لاتلطمه بلعابك ، ولاتتعهده بتنظيف ، وكأنك لم ترقطُ فتى أو فتاة يجرى الدهان بريقاً فى شعره أو شعرها ، فتحاول أن تصنع بلعابك لشعرك صنيعهما ؛ وأراك متزايل الأعضاء متفككا حتى ضعفت وجهدت ، كأنه لا يركبك من حب النوم على قدرمن كسلك وراحتك ، ولا يركبك

من حب الكسل على قدر من نعيمك ورفاهتك ، وكأن جنبيك لم يعرفا طنفسة ولا حشيّة ولا وسادة ولا بساطا ولاطرازاً ، وما أشبهك بأسد أهلكه ألا يجد إلا العشب الأخضر والهشيم اليابس ، فما له لحم يجيء من لحم ، ولادم يكون من دم ، وانحط فيه جسم الأسد ، وسكنت فيه روح الحمار !

قال الهزيل : وإن لك لحمة وشحمة ، ولبناً وسمكا ، وجبناً وفتاتاً ، وإنك لتقضى يومك تلطع جلدك ماسحاً وغاسلاً ، أو تنطرح على الوسائد والطنافس نائماً ومتمدداً . أما والله لقد جاءتك النعمة والبلادة معاً ، وصلحت لك الحياة وفسدت منك الغريزة ، وأحكمت طبعاً ونقضت طباعا ، وربحت شبعاً وخسرت لذة ، عطفوا عليك وأفقدوك أن تعطف على نفسك ، وحملوك وأعجزوك أن تستقل ، وقد صرت معهم كالدجاجة تسمن لتذبح ، غير أنهم يذبحونك دلالاً وملالاً .

إنك لتأكل من خوان أصحابك ، وتنظر إليهم يأكلون ، وتطمع فى مؤاكلتهم ، فتشبع بالعين والبطن والرغبة ثم لا شيء غير هذا ، وكأنك مرتبط بحبال من اللحم تأكل منها وتحتبس فيها .

إن كان أول مافى الحياة أن تأكل فأهون مافى الحياة أن تأكل ، وما يقتلك شيء كاستواء الحال ، ولا يحييك شيء كتفاوتها ، والبطن لايتجاوز البطن ، ولذته لذته وحدها ، ولكن أين أنت عن إرثك من أسلافك ، وعن العلل الباطنة التى تحركنا إلى لذات أعضائنا ، ومتاع أرواحنا ، وتهبنا من كل ذلك وجودنا الأكبر ، وتجعلنا نعيش من قِبَل الجسم كله ، لا من قبل المعدة وحدها ؟

قال السمين : تالله لقد أكسبك الفقر حكمة وحياة ، وأرانى بازائك معدوما بزوال أسلافى منى ، وأراك بازائى موجوداً بوجود أسلافك فيك . ناشدتك الله إلا ماوصفت لى هذه اللذات التى تعلو بالحياة عن مرتبة الوجود الأصغر من الشبع ، وتستطيل بها إلى مرتبة الوجود الأكبر من الرضى ؟

فقال الهزيل : إنك ضخم ولكنك أبله ، أما علمت – ويحك – أن المحنة فى العيش هى فكرة وقوة ، وأن الفكرة والقوة هما لذة ومنفعة ، وأن لهفة الحرمان هى التى تضع فى الكسب لذة الكسب ، وسُعار الجوع هو الذى يجعل فى الطعام من المادة طعاماً آخر من الروح ، وأن ما عُدِل به عنك من الدنيا لاتعوضك منه الشحمة واللحمة ، فان رغباتنا لابد لها أن تجوع وتغتذى كما لابد من مثل ذلك لبطوننا ، ليوجد كلٌّ منهما حياته فى الحياة ؛ والأمور المطمئنة كهذه التى أنت فيها هى للحياة أمراض مطمئنة، فان لم تنقص من لذتها فهى لن تزيد فى لذتها ، ولكن مكابدة الحياة زيادة فى الحياة نفسها .

وسر السعادة أن تكون فيك القوى الداخلية التى تجعل الأحسن أحسن مما يكون ، وتمنع الأسوأ أن يكون أسوأ مما هو ، وكيف لك بهذه القوة وأنت وادع قارٌّ محصور من الدنيا بين الأيدى والأرجل ؟ إنك كالأسد فى القفص ، صغرت أجمَتُهُ ولم تزل تصغر حتى رجعت قفصا يحده ويحبسه ، فصغر هو ولم يزل يصغر حتى أصبح حركة فى جلد ، أما أنا فأسد على مخالبى ووراء أنيابى ، وغَيْضَتى أبداً تتسع ولا تزال تتسع أبداً ، وإن الحرية لتجعلني أتشمّم من الهواء لذة مثل لذة الطعام ، وأستروح من التراب لذة كلذّة اللحم ، وما الشقاء إلا خلّتان من خلال النفس ، أما واحدة فأن يكون فى شرهك ما يجعل الكثير قليلاً ، وهذه ليست لمثلى مادمت على حد الكفاف من العيش – وأما الثانية فأن يكون فى طمعك مايجعل القليل غير قليل ، وهذه ليس لها مثلى مادمت على ذلك الحد من الكفاف . والسعادة والشقاء كالحق والباطل ، كلها من قبل الذات ، لامن قِبل الأسباب والعلل ، فمن جاراها سعد بها ، ومن عكسها عن مجراها فيها يشقى .

ولقد كنت الساعة أختل فأرة انجحرت فى هذا الشق فطعمت منها لذة وإن لم أطعم لحماً ، وبالأمس رمانى طفل خبيث بحجر يريد عَقْرى فأحدث لى وجعاً ، ولكن الوجع أحدث لى الاحتراس ، وسأغشى الآن هذه الدار التى بازائنا فأية لذة فى السَّلَّة والخَطْفة ، والاستراق والانتهاب ثم الوثب شداً بعد ذلك ! هل ذقت أنت بروحك لذة الفرصة والنهزة ، أو وجدت فى قلبك راحة المخالسة واستراق الغفلة من فأرة أو جُرَذ ، أو أدركت يوما فرحة النجاة بعد الرَّوَغان من عابث أو باغٍ أو ظالم ؟ وهل نالتك لذة الظفر حين هوّ لك طفل بالضرب فهوّ لته أنت بالعضّ والعقر ففرّ عنك منهزماً لايلوى ؟

قال السمين : وفى الدنيا هذه اللذات كلها وأنا لاأدرى ؟ هلمّ أتوحش معك ، ليكون لى مثل نُكرك ودهائك واحتيالك ، فيكون لى مثل راحتك المكدودة ، ولذتك المتعبة ، وعمرك المحكوم

عليه منك وحدك . وسأتصدى معك للرزق أطارده وأواثبه ، وأغاديه وأراوحه و . . . فقطع عليه الهزيل وقال :

ياصاحبي ، إن عليك من لحمك ونعمتك علامة أسرك ، فلا يلقانا أول طفل إلا أهوى لك فأخذك أسيراً ، وأهوى عليّ بالضرب لأنطلق حراً ، فأنت على نفسك بلاء ، وأنت بنفسك بلاء عليّ

وكانت الفأرة التي انجحرت قد رأت ماوقع بينهما ، فسرها اشتغال الشر بالشر . . وطالت مراقبتها لهما حتى ظنت الفرصة ممكنة فوثبت وثبة من ينجو بحياته ، ودخلت فى باب مفتوح ، ولمحها الهزيل ، كما تلمح العين برقا أومض وانطفأ ، فقال للسمين : اذهب راشداً ، فحسبك الآن من المعرفة بنفسك وموضعها من الحياة أن الوقوف معك ساعةً هو ضَياعُ رِزقٍ ، وكذلك أمثالكَ فى الدنيا ، هم بألفاظهم فى الأعلى وبمعانيهم فى الأسفل . .

مصطفى صادق الرافعي

من روائع عصر الأحياء

حياة بنفونوتو تشلليني مكتوبة بقلمه

مثل أعلى للترجمة الشخصية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

قد تفوق الحقيقة أحياناً من حيث الغرابة والروعة والميل الى الدهش الخارق ، كل ما يتصوره الخيال المغرق . وهذه ظاهرة نلمسها فى كثير من حوادث التاريخ ، كما نلمسها فى الحوادث الفردية . ومن الأشخاص العاديين من تهيأ له حياة فياضة بالمخاطر والمغامرات المدهشة تجعل منه شخصية فريدة تخلق بذكر التاريخ ، وان لم تؤثر فى مجرى حوادثه . وكثيراً ما تبدو هذه السير الشخصية العجيبة برائع حوادثها ومفاجآتها فى لون خارق لا تسبغه الحوادث العظيمة على التاريخ نفسه ، ولا يسبغه الخيال المغرق على القصة المبتكرة .

ومن هذه النماذج الخارقة للحياة الفردية ، حياة الفنان الايطالى بنفونوتو تشلليني Benvenuto Cellini ، وهو نموذج ليس له فيما نعتقد مثيل فى الغرب أو الشرق ؛ ومما يزيد فى قيمته وروعته انه صورة رسمتها يد ذلك الفنان البارع الذى نقرأ حياته ، عن نفسه وعن حوادث حياته . وكم من تراجم شخصية بديعة انتهت الينا لشخصيات عظيمة وبأقلام قوية ساحرة ؛ ولكننا لا نستطيع أن نلمس فيها رغم روعتها ، تلك الحياة المضطرمة التى تفيض بها سيرة بنفونوتو تشلليني . ومن الغريب أن تشلليني لم يكن كاتباً ولا أديباً ، يسبغ من أدبه وقلمه على حوادث حياته سحراً وقوة ؛ ذلك أن معظم التراجم الشخصية العظيمة التى انتهت الينا أتيحت لها أقلام بارعة صاغتها فى أوضاع أدبيـة باهرة ، وكثيراً ما يتفوق الجمال الأدبى فيها على روعة القصة وسحر الحوادث . ويعرف الذين قرأوا «اعترافات» جان جاك روسو ، أو ترجمة المؤرخ الفيلسوف جيبون لنفسه ، أى جمال يسبغه القلم ويسبغه البيان الرائع على تلك الصحف الشائقة التى يقدمها الينا كل من روسو وجيبون عن نفسه ، حتى أن سحر البيان ليسمو فى مواطن كثيرة ، على روعة الحوادث ذاتها . ولكن تشلليني كان أكثر من كاتب وأديب ؛ كان فناناً عظيما تتجلى عبقرية الطبيعة فى مواهبه ، ويستمد منها سحر البيان وآية الوصف ؛ وإنا لنلمس فى تلك الصحف القوية التى تركها لنا عن حياته العجيبة ، روعة هذه المواهب الساذجة ، وتحملنا بساطتها المؤثرة الى أعماق هذه النفس التى تحدثنا لا بواسطة اللفظ الساحر ، ولكن فى نوع من الوحى والتأثير الروحى ، ونكاد نشعر ونحن نتتبع تلك الصورة الحية التى يرسمها لنا تشلليني عن نفسه ، اننا نرى تشلليني نفسه ، لا تفصلنا عنه القرون ، ونشهد معه تلك الحوادث العجيبة التى يقصها علينا ، ونشهد أحوال عصره ماثلة أمامنا ، فى ألوان ساطعة ، تسبغ عليها ريشته البارعة كل ما فى الحقيقة من قوة وروعة وحياة

***

كان تشلليني من غرس عصر الأحياء ، ذلك العصر الذى تفتحت فيه مكامن العبقرية البشرية ، وأخرجت لنا ثبتاً حافلاً من تلك الشخصيات التى يزدان بها تاريخ الانسانية ؛ وقد بزغ فجر هذا العصر فى ايطاليا ، منذ القرن الرابع عشر ، وأشرقت طلائعه على يد دانتى وبتراركا وبوكاشيو وماكيافيللى ، وميراندولا وجاليليو ، ثم على يد رافائيل سانزيو وميشيل انجيلو وعشرات

آخرين من أبطال الفن الرائع ترجمهم لنا جميعاً ، جورجو فازارى فى أثره الضخم [1] ؛ وكان بنفونوتو تشلليني من جنود ذلك الجيش الباهر الذى لبث ضوء عبقريته يسطع فى جنبات ايطاليا زهاء قرنين . ولم يكن فى الصف الأول من ذلك الثبت الحافل ، ولكنه يقدم الينا بحياته الغريبة أقوى وأصدق مثل لعصره ، بكل ما فيه من حسنات ورذائل ؛ ولا غرو فقد عاش تشلليني فى عصر البابوية الذهبى ، وعصر الحروب الأهلية والغزوات الأجنبية فى ايطاليا ، واشترك بقسط وافر فى كثير من الحوادث العظيمة التى كانت تهز أسس المجتمع الايطالى يومئذ ، وشهد عن كثب سير أولئك البابوات والأحبار الذين كانت أقوالهم ونزعاتهم يومئذ كل شىء فى الملك والحياة العامة

وولد تشلليني فى أسرة متوسطة الحال فى سنة ١٥٠٠ بمدينة فلورنس (فيرنتزا) التى كانت يومئذ فى طليعة المدن الايطالية الزاهرة ، وكانت موئل الفنون والآداب ؛ وكان أبوه مهندساً وموسيقياً يجيد العزف بالزمار ، وفناناً يقوم بصنع التحف العاجية الدقيقة ؛ وكان يحاول أن يغرس فى نفس طفله بنفونوتو حب الموسيقى ويرغمه على العزف والغناء . ولكن بنفونوتو كان يتضجر من الموسيقى ، ويؤثر عليها الرسم . ولما بلغ الخامسة عشرة التحق على كره من أبيه بحانوت صائغ ماهر ؛ وكان يهوى هذه الصناعة بطبيعته ؛ ولكنه لم يلبث أن اضطر الى مغادرة فلورنس على أثر اشتراكه فى شجار دموى وقع بين أخيه وبين جماعة من جند الأمير ، وقضى من جرائه بنفى الأخوين من فلورنس ؛ فسار تشلليني الى مدينة سيينا ، واشتغل هنالك حيناً لدى صائغ آخر ؛ ثم سعى والده لدى الكردينال دى مديتشى الذى انتخب لكرسى البابوية باسم كليمنضوس السابع ، فسمح للأخوين بالعودة الى فلورنس ؛ واقترح الكردينال على الأب أن يرسل ولده بنفونوتو الى بولونيا ليتعلم هنالك الموسيقى على أساتذة الفن بتوصية منه ، فاغتبط الأب لذلك أيما اغتباط ، وقبل الفتى رغم ارادته لأنه كان يكره الموسيقى وينعتها «بالفن الملعون» ، ولبث مدى أشهر يتعلم الموسيقى ، ويشتغل أيضاً بصناعته المحبوبة أعنى الصياغة وصنع القطع الفنية الدقيقة ؛ ثم عاد الى فلورنس يزاول صناعته حتى اشتهر رغم حداثته ، وتحدث الناس بمواهبه . وهنا اتصلت أواصر الصداقة بينه وبين فتى يدعى تاسو ، وهو فنان حفار ؛ فاقترح عليه أن يسافر الاثنان الى رومه ؛ وكانت هذه أمنية تثير خيال فتى ذكى مخاطر مثل بنفونوتو ، فقبل الاقتراح ؛ وسافر الاثنان الى رومه ، وكان تشلليني يومئذ فى التاسعة عشرة من عمره

وفى رومة اشتغل تشلليني لدى أقطاب فنه ، وزاد كسبه ، وتفتحت أمامه الآمال الكبيرة ؛ وكانت رومة فى ذلك العصر مدينة الأحبار ، ومعقل الفاتيكان ، تنثر عليها البابوية من سلطانها وبذخها وبهائها ألواناً رائعة ؛ وكان الاتصال بذلك المجتمع القوى الباهر أشد ما يثير طلعة ذلك الفتى الطامح ؛ وكانت البابوية وأولياؤها من الأحبار الأكابر يومئذ موئل الفن الرفيع ، وملاذ الفنانين الموهوبين ؛ فاستقر تشلليني فى رومة يرقب فرصه ، ولبث الى جانب عمله يشتغل بدراسة النقوش والصور الخالدة التى خلفها ميشيل انجلو ورافائيل ، فى صروح رومة ؛ ولم يمض سوى قليل حتى أتيحت له فرصة الاتصال بحبر كبير هو أسقف شلمنقة أصلح له بعض التحف وسر من مهارته وعهد اليه بصنع اناء بديع مزخرف ؛ وعهدت اليه زوج الأمير تشيجى بصنع حلية من الجوهر . وهنا يفيض تشلليني فى وصف التحف والحلى البديعة التى كان يصنعها افاضة تدل على ما كان يجيش به من شغف بفنه ومهنته ، وهنا أيضاً يطلق تشلليني العنان لأهوائه المضطرمة ويصف لنا بمنتهى الصراحة والجرأة مواطن لهوه ، ومواطن عبثه وفسقه مهما كانت من الوضاعة ، ويقص علينا كيف أصابه الوباء الذى عصف يومئذ برومة ، عقب ليلة غرام قضاها مع فتاة خادمة لبنى حسناء جاءت لزيارة صديق له ، فاختص الصديق بها ، واقتنص هو الخادمة خلسة عنها . وقد قص علينا روسو فى اعترافاته كثيراً من مواطن لهوه وفسقه ، فى أحاديث صريحة واضحة ؛ ولكن روسو يسبغ من بيانه على تلك الأحاديث فى كثير من الأحيان لوناً من الحشمة ، وتكاد تنم عن شعوره بالاثم والندم واحتقار مواطن الضعف الانسانية . أما تشلليني فانه يقص علينا تلك المناظر الآثمة بكل بساطة ، ويصف لنا طبيعته المضطرمة الجامحة دون استحياء ، ويكشف لنا عن دخائل نفسه دون تحفظ ، وأخص ما يلفت النظر فى ما يقصه علينا من تلك الصفات النفسية ، انه

---

(١) وهو كتاب فى أربعة مجلدات يحتوى على تراجم المصورين والمهندسين الايطاليين حتى القرن السادس عشر

كان كثير الافراط والعنف ، شغوفاً بالمخاطرة ، تواقاً الى الانتقام، كثير المجون والاستهتار .

ونجا تشلليني من الوباء ، بينما احتمل كثيراً من أصحابه ؛ ولكن رومة لم تكد تفيق من عيث الوباء حتى دهمتها مصائب الحرب والحصار، وزحفت الجنود الأمبراطورية - جنود الأمبراطور شارلكان - على رومة بقيادة الكونستابل دي بوربون (سنة ١٥٢٧) . وهنا يبدو تشلليني فى ذروة الجرأة والمخاطرة ، فنراه رئيس سرية من الجند المأجورين يتولى حراسة قصر الساندرو دلبيني ، ثم يخف مع سيده الى الأسوار المحصورة ليرى الجيش المحاصر . وفى ذلك الموطن يقص علينا تشلليني قصة لا ينقضها التاريخ ؛ وهى أنه حينما أشرف على الأسوار مع زملائه ليرقب سير المعركة ، رأى وسط الدخان رجلاً يرتفع عن الجميع ، فصوب رصاصه نحوه ، وأطلق مع زملائه فى تلك الناحية عدة رصاصات ، وحدثت على أثر ذلك فى قلب الجيش ضجة كبيرة ؛ وشاع بعد ذلك أن الكونستابل دي بوربون قد قتل من رصاصة أطلقت عليه من وراء الأسوار . ويدعى تشلليني انه هو الذى أصاب الكونستابل برصاصه . وليس فى ذلك ما ينقضه التاريخ ، ولكن ليس فيه أيضاً ما يؤيده . فقد سقط بوربون قتيلا فى بدء القتال من رصاص الجند المحصورين ؛ ولكن ليس ثمة ما يؤيد أن تشلليني هو صاحب الطلقة القاتلة . وعلى أى حال فان الحادث دليل على جرأة تشلليني ووافر شجاعته . ولم يمنع مقتل بوربون جنوده من اقتحام المدينة ، فدخلوها فى عدة مواضع دخول الضوارى المفترسة ، واضطر البابا كليمنضوس السابع أن يفر مع بطانته الى حصن سانت انجيلو الذى يتصل بقصر الفاتيكان بأقبية سرية ؛ وكان ذلك الحصن الشهير الذى ما يزال الى اليوم قائماً فى رومة على ضفة نهر تفيرى ، من أمنع وأعجب معاقل العصور الوسطى ، يلجأ اليه البابوات بكنوزهم كلما دهم رومة خطر السقوط فى يد العدو ، ويتخذ فى أوقات السلم سجناً تزج اليه البابوية أعداءها . واختار الجنرال دى مديتشى قائد الحرس تشلليني ضمن حرس الحصن اذ كان يعرف شجاعته ؛ وكان الحصن مجهزاً بالمدفعية من جميع نواحيه ، فانتخب تشلليني ليتولى إطلاق احدى وحدات المدفعية ، ولبث مدى شهر يتولى هذه المهمة . ويقول لنا تشلليني انه أتى فى ذلك بالعجب العجاب ، وحصدت قنابله كثيراً من جند العدو ، وباركه أكابر الأحبار وهنأوه على براعته . وفى خلال ذلك استدعاه البابا كليمنضوس ، وكان قد عرفه من قبل وعهد اليه بصنع بعض التحف وأعجب بافتنانه ، وطلب اليه أن يقوم باستخراج جميع التحف والحلى الرسولية من علبها واطاراتها الذهبية ؛ وبعد أن خبأ البابا الجواهر فى بطانة ثيابه وثياب بعض خواصه ، أمره أن يصهر القطع الذهبية سراً ؛ فأخذها تشلليني واشتغل بصهرها فى ركن صغير الى جانب مدفعيته ؛ ولبث أثناء العمل يطلق القنابل على جند العدو ؛ وهنا يقول لنا تشلليني انه أطلق قنابله ذات يوم على فارس يسير حول خنادق العدو فأرداه وتبين انه هو البرنس دى اورانج كبير الجيش المحاصر

وبعد أيام قلائل عقد الصلح ؛ وسار تشلليني الى فلورنس لزور أباه وأسرته ، ملء الجيب ، يركب فرساً جميلاً ، ووراءه خادم خاص . وبعد أن مكث قليلاً سار الى مانتوا ليزورها ، واتصل بأميرها دوق مانتوا ، وصنع له بعض التحف الجميلة . ثم عاد الى فلورنس ، فألفاها تتأهب للدفاع عن نفسها ضد جنود البابا كليمنضوس ، فاعتزم أن يشترك فى الدفاع عن وطنه ، ولكن البابا كليمنضوس أرسل يستدعيه اليه ، ويعده بوعود حسنة ، فعاد الى رومة ، واستقبله البابا مراراً ، وعهد اليه بصنع حلى وتحف خاصة بثيابه وتاجه ، ثم عهد اليه بصنع نماذج للنقود تستعمل فى دار الضرب البابوية ، وأبدى تشلليني فى ذلك كله من المهارة والدقة ما جعل البابا يضاعف له العطف والبذل ويعينه ناظراً لدار الضرب . وهنا وقع حادث جديد يدل على صرامة تشلليني وعنفه ؛ ذلك أن أخاه الأصغر جوڤانى الذى كان يومئذ فى رومة ضمن جند الدوق الساندرو دى مديتشى اشتبك وبعض فتيان من صحبه ذات مساء مع جماعة من الحرس كانت تقود الى السجن صديقاً لبعض أولئك الفتيان ، فأصيب جوڤانى خلال المعركة بجرح خطير ، وحمل مغشياً عليه الى قصر الدوق الساندرو ، فهرع اليه بنڤونوتو ، ولكنه أسلم الروح بين ذراعيه ؛ وعرف بنڤونوتو الرجل الذى طعن أخاه الطعنة القاضية ، فسار الى منزله ذات مساء ، وكان الرجل يتنزه أمام داره ، فطعنه بخنجره طعنة نجلاء خر لها صريعاً ، وبذا انتقم لأخيه وشفى نفسه . وعاد الى عمله كأن لم يحدث شىء .

وكان القانون يومئذ صريع الجاه والهوى ، فمن كان ذا جاه أو حماية استطاع أن يجرى القصاص لنفسه وأن يستبيح دم خصومه

واستمر بنفونوتو حيناً يقوم بخدمة البابا ، فأعاد صنع التحف الرسولية كما كانت قبل الحصار ، وكلفه البابا بصنع تحف أخرى ، فوضع رسومها ونماذجها ، وكان البابا دائماً فارغ الصبر يستحثه على السرعة ، وبنفونوتو لا يدخر وسعاً فى العمل ؛ وأصابه ذات يوم مرض فى عينيه ، وعاقه عن العمل حيناً ، فغضب البابا واعتقد انه يتقاعد عن إتمامه قصداً ، وكان ثمة بعض رجال البطانة ممن يحقدون على بنفونوتو ، ويستكثرون عليه هذه الرعاية ، يدسون دائماً فى حقه ويلتمسون الفرص لاحفاظ البابا عليه بحجة أنه مقصر فى أعمال قداسته وانه كثير الحب للمال لا يقنع أبداً بما يدفع اليه من الأجور والهبات ، وأنه كثير الادعاء والغرور ؛ فأثمرت هذه السعاية ثمرها ، وطلب البابا من بنفونوتو ما لديه من تحفه ، فامتنع بنفونوتو من تسليمها بحجة انها لم تتم وانه لم يقبض أجرها ، فقبض عليه بأمر البابا ، وأخذت التحف قسراً عنه ، ثم أطلق سراحه ؛ بيد أنه كان قد فقد عطف البابا . فحاول أن يجد يومئذ عزاءه فى الحب وكان قد تعرف بسيدة صقلية ذات ابنة حسناء ، وهام بحب الابنة ، واعتزم أن يختطفها ويفر بها الى فلورنس . ولكن الأم شعرت بمشروعه ، فسافرت مع ابنتها خلسة الى صقلية ؛ ولجأ بنفونوتو الى ساحر فى رومة ليعاونه على الاجتماع بحبيبته ، ولبث أياماً يحضر الجلسات السحرية خارج رومة ؛ ولكنه لم يفز طبعاً ببغيته . ثم نسى غرامه ، ووجد عزاءه مرة أخرى فى فنه وفى التماس صنع بعض الحلى والتحف النادرة التى تدلل على أنه أستاذ عصره ، وأنه لا يجارى فى ابتكاره وبراعته .

« للبحث بقية » محمد عبد الله عنان
المحامى

دق على الخشب

أو « بص وراك »

من عبارات الدعاء والتشميت لجلب الخير وطرد الشر عند الأنجليز قول الواحد منهم « مسّ الخشب » أو « دقّ على الخشب » كما نقول نحن « بص وراك » كأن هذا المسّ أو هذا الدقّ يطرد الشيطان أو العفريت الذى يتحفز غير منظور وغير مشعور به لقطع الخير عن أهله . يراد به أن يكون كالبسملة عند المسلمين أو كذكر الصليب عند المسيحيين ضماناً لحسن البدء وحسن الختام

وقد رأينا مقالاً لعالم انجليزى بهذا العنوان حاول فيه تعليل هذا المسّ وتسلط الخرافات على الناس قال :

« كلما مرّ يوم رأى العالم وقد عراه الدهش انه لا يزال فى القرن العشرين أناس يؤمنون بالسحر . أما أنا فلا أفهم قدرة الناس على أن تدهشهم هذه الحوادث التى تتكرر فى مدة قصيرة

ففى سنة ١٩٢١ كان حديث القوم عندنا ذلك المنزل المسحور الذى كانت فيه قوى غير منظورة تبعثر الأثاث والرياش فى جميع جوانبه ، وفى سنة ١٩٢٦ اتهم بعضهم بالسحر فى محكمة ملون ، وفى سنة ١٩٢٨ روع الناس بوقائع سحرية فى ولاية بنسلفانيا الأمريكية .

هذا بعض من كلّ ، وهم كلما سمعوا بحادثة من هذا النوع دهشوا لها إما دهش وقالوا انها مستحيلة ، ومن التخرص والأحاديث الملفقة . ثم تراهم يدقون على الخشب ويحاذرون المرور تحت السلالم الخشبية ويلقون الملح من فوق أكتافهم الى غير ذلك ، هذا كله مع علمنا بأن السحر خارج عن دائرة العقل والحقائق العلمية

***

فان كان ذلك كله مستحيلاً وخارجاً عن دائرة العقل فكيف قوى على البقاء آلافاً من السنين ، على حين أن خصوم السحر والسحرة جعلوا ديدنهم فى كل زمان ومكان القبض على السحرة وحرقهم أينما وجدوهم . فهل هذا كله مناقض للعقل ؟

كنا منذ مئة وخمسين سنة نقول إن طيران الانسان مناقض

للعقل ، وكنا منذ عشرين سنة نقول ان من مناقضات العقل جلوس امرىء فى منزله بلندن ينصت إلى عزف الموسيقى فى برلين

وقد علل بعضهم هذه الغرائب بقوله إنهـا من فئة الحقائق التى تخضع لناموس طبيعى مجهول ، ومتى يعرف هذا الناموس تصبح الغرائب حقائق لا علاقة لها بالسحر ، لأن السحر لا يخضع للنواميس الطبيعية

وقد تكون هنالك نواميس نجهلها ، ومع ذلك فهى تعمل عملها كل يوم أمام عيوننا

وفى سنة ١٧٧٠ كان الناس يسمون التنويم المغناطيسى سحراً أى ضبط انسان لحركات انسان آخر وأعماله وهو يجهله تمام الجهل فلا يمكن أن يقال أن بينهما تواطؤاً وتدبيراً سابقاً

ثم جاءت سنة ١٧٧٨ فسمّوه بالسمرزم وسلموا به جدلاً وعلى كره منهم كما نسلّم نحن الآن بالتلياتى أى انتقال الأفكار وننتظر ناموساً طبيعياً لتعليله ، ولكن هذا الناموس لم يكشف بعد ونحن نسميه فى هذه السنة ، سنة ١٩٣٤ بالهبنوتزم . فهل نستطيع أن نعلل بناموس طبيعى كيف يتمكن بعض الناس وفى أيديهم غصن من شجر البندق من أن يدلّونا على ينابيع ماء تحت الأرض التى يقفون عليها وذلك بانحراف الغصن فجأة فى أيديهم ؟

وهل نستطيع كذلك أن نعلل تعليلاً طبيعياً حوادث شفاء المرضى والمفلوجين والمقعدين والمبتلين بسائر العلل فى كهف لورد وتربيه (فى فرنسا) فان كنا لا نستطيع ذلك وجب علينا الايمان بالسحر ونبذ القول اننا نرفضه لأنه لا يعلل بناموس طبيعى نعرفه

ثم ماهى هذه التى يسمونها حقائق علمية . أنا لا أعرف كثيراً منها ، وإنما أعرف كثيراً من المذاهب والآراء العلمية . فنى أيام تلمذتنـا كان من الأوليات أو البديهيات قولهم « إن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين » . ولكننا بعد مذهب اينشتين نعلم علماً ليس بالظن أن ذلك ليس صحيحاً

وكان من الحقائق العلمية فى حداثتى أن أهل الكيمياء القديمة كانوا جهلاء وحمقى لأن القاعدة التى كانوا يبنون عليها تجاربهم وامتحاناتهم كانت فاسدة . فقد كانوا يقولون إن عناصر معدن من المعادن يمكن تحويلها الى عناصر أخرى يركب منها معدن آخر . وعليه استدلوا أنه يمكن تحويل معدن ما ذهباً أو فضة باستعمال الوصفة الصحيحة لذلك . وبالفعل استحدثوا الذهب من النحاس ، ولكن نفقات التجربة كانت أعظم من الانتفاع بها عملياً كما أن استقطار الزيت من الفحم كان الى عهد قريب عظيم النفقة بحيث لا يمكن استخدامه تجاريا

وبعد ما تقدمت فى السن وجد العلماء أن تحويل المعادن بعضها الى بعض حقيقـة علمية كما ظن أهل القرن الثامن عشر لا خداعاً كما ظن أهل القرن التاسع عشر بعده . فصار العالم بعد ذلك أكثر إجلالاً لأهل الكيمياء القدماء وصرت أنا أكثر شكا فى الحقائق العلمية

أما المذهب السحرى فخلاصتـه هى أنه كما أن حولنا قوى عظيمة الفعل كالكهربائية ، وهذه القوى تنتج أشياء لا نزال نجهلها الى الآن كذلك فى داخلنـــا قوى عظيمة الفعل كالهبنوتزم و « التبصير » نستطيع بها بعد تربيتها وإتقانها أن نأتى أفعالاً لا تخطر لنا الآن على بال

ويقول الخبيرون بالسحر إننا نستطيع بهذه القوى أن نخضع جميع الأشياء المادية التى نراها حولنا من شفاء الأمراض والتكهن بالمستقبل . والمعيشة بلا طعام . والعوم فى الهواء كما صنع الوسيط دوجلاس هوم فى القرن الماضى بشهادة الشهود العدول . ونحكم الانسان فى مصيره

وقد قسم المعاصرون الأعمال السحرية قسمين : سمّوا ما يراد به الخير والرشد السحر الأبيض ، وما يراد به الشر والنكد السحر الأسود . فمن قبيل الأول الشفاء بالايمان وهو الشفاء الذى يجرى على أيدى أئمـة التبت . ومن قبيل الثانى سحر سحرة أفريقية بين قومهم السود . ومن غريب ما يذكر فى هذا الصدد أن الموظفين الانجليز والمبشرين فى أواسط أفريقية يعودون منها وهم يعتقدون أن لأولئك السحرة قوة خارقة وإن لم يدركوها ويعرفوا لها تعليلا

وغاية « علم » السحر إن صحت تسميته علماً هى إضعاف شهوة الجسم بسلسلة من أعمال التمرين والرياضة والتقشف اعتقاداً أن « أماتة ماهو مادىّ انما هى أحياء ماهو روحانى وما وراء الطبيعة فينا . وهكذا نتمكن بالأشيـاء غير المنظورة من اخضاع الأشياء المنظورة والتحكم فيها » .

ولا نستغرب أن يصدق أهل أواسط أفريقية سحر سحرتهم وكهانة عرافيهم وكهنتهم ونحن نرى الأوربيين الذين يعيشون بينهم مبشرين وتجاراً ومستعمرين يحارون فى تعليل بعض الحوادث

مصطفى كمال وموسوليني

كيف أجاب بطل تركيا على تهديد بطل ايطاليا

منذ بضعة أسابيع وقف دكتاتور ايطاليا وباعث نهضتها ليلقى خطبة من خطبه النارية على شباب ايطاليا الفاشيست ليزيدهم حماسة ووطنية فوق ما خلق فيهم منها كما هى عادته منذ أن تقلد زمام أحفاد الرومان ، فرأى أمامه بحراً زاخراً من ذوى القمصان السود وكلهم ممتلئون حرارة وحماسة ، ومتعطشون لليوم الذى تتاح لهم الفرصة فيه لأبراز مقدرتهم الجسمانية ، ومهارتهم فى فنون الحرب والفروسية ، فغره ذلك : نعم ، غر الدوتشى ذلك الجمع المحتشد وتلك الصفوف المتراصة ، الثابتة كالبنيان . وخيل اليه فى تلك اللحظة أن العالم كله قد ارتدى القمصان السود وجاء ليقدم آيات الخضوع وفروض العبودية لموجد ايطاليا الأوحد ، لتزداد كبراً على كبريائه

وهنا لعب الغرور دوره وزلت بموسوليني القدم زلة سياسية فظيعة . أجل ، فقد أوحى الغرور الى هذا الجبار أن يميط اللثام عن أمور كان حريصاً على كتمانها حتى تلك اللحظة حرصه على حياته .. فأشار فى سياق كلامه الى رجاله وشباب ايطاليا الحاضرين ساعتئذ ، ان أرض القياصرة لم تعد تسعهم وأن عليهم بعد الآن أن يتطلعوا بأبصارهم نحو الشرق ونحو الجنوب . . .

(تلك البلاد التى غدا أحقر علوج الغرب يمني النفس بالسيادة عليها ؟ ! . .)

* * *

لقد غفل عن نفسه موسوليني هذه المرة وارتكب فى غفلته هذه خطأ سياسياً لا يمكن تلافيه بالسهولة التى كان ظنها . ذلك انه قد تحرش وبالأحرى صوب سهام كلامه ، بقصد أو بغير قصد لذلك الذى أثبت مراراً لأوربا ، المفتونة بنارها وحديدها ، انه مستعد دائماً وأبداً لأن يعطيها درساً جديداً أقسى وأمر من كل الدروس القاسية التى أعطاها اياها فى الماضى القريب فقط . . .

وما كاد الأثير يحمل صدى هذه الخطبة الى قاعة مجلس الأمة الكبير ويوصله الى آذان جبار تركيا العتيد ، حتى أوعز الى سفيره فى روما أن يقابل الدكتاتور ويستوضحه عن كلمة «الشرق» التى قالها وأومأ اليها فى عرض خطبته تلك . وما كاد موسوليني يعلم ان سفير تركيا يريد مقابلته حتى انتبه للغلطة التى وقع فيها . فأسرع للقاء الوزير وأكد له بأنه ليس إلا محباً لتركيا ومعجباً بغازيها الأعظم . ولم يقصد قط الأراضى التركية فيما أراد من « الشرق » فى خطبته . وانه لا يضع تركيا فى مصاف الأمم الشرقية ، بل يعتبرها دولة أوربية من صديقات ايطاليا ... .

فبمثل هذه التأمينات ظن موسوليني انه يستطيع اليوم أن يلعب مع الكماليين (أو ليسوا هم فى الحقيقة شرقيين أيضاً ؟؟) الدور الذى لعبته ايطاليا بالذات مع حكومة « الباب العالى » فى حرب طرابلس وبنغازى بالأمس القريب ، فلذا شعر كأن الكابوس الذى ضايقه من يوم إلقائه الخطبة المذكورة ــ وربما كان لأول مرة فى حياته الدكتاتورية ــ قد زال بانصراف سعادة بك من لدنه ، فوجىء على حين غرة بضربات سياسية قوية متتالية من منقذ تركيا العظيم

* * *

قلنا لم يكد موسوليني يضحك من تحت شاربيه الحليقين بعد

التى يخبرونها بأنفسهم ويرونها بعيونهم ، فما كدنا ننتهى من نقل مقالة العالم المتقدمة حتى قرأنا حكاية لضابط انجليزى فحواها أن بعض الأقوام الذين يعيشون حول بحيرة البرت نيانزا فى أعالى النيل يقدسون التمساح ويقدم كاهنهم قرباناً له من آن الى آن — فتاة صغيرة من فتياتهم لرد غضب الآلهة اذا أنسوا غضبها

وقد روى هذا الضابط أنه أنقذ فتاة أعدت طعاماً للتمساح المقـــدس بترويع التمساح من غير أن يلحق به أذى . وأرسلها الضابط الى مكان بعيد تشفى فيه من الروع الذى أصابها

وفى اليوم التالى علم الكاهن بما صنع الضابط فجاءه معاتباً وقال له فى جملة ما قال :

« أتظن الفتاة تنال الشفاء . لن يمضى عليها شهر من هذا التاريخ حتى تموت » . وكان ما قال الكاهن

وقد روى الضابط ما حدث وعلق عليه بقوله : « ومما كان سبباً فى أسفى أنه مع كل ما بذل من الجهد لشفاء الفتاة ماتت فى خلال شهر كما أنبأ الكاهن . أفكان موتها من لعنة الآلهة أم من تأثير الروع ؟ ذلك ما لا يستطيع أحد معرفته » ! ع . س

انصراف الوزير الشرقى حتى ذهل ووقف واجماً ، اذ علم أن قيامة الجيش التركى قد قامت ، ذلك الجيش الذى لم تكن كتائبه قد تنفست بعد من غمار الحرب الكبرى فى وجه أوربا العاتية ، قبل عشر سنوات فقط ، وهددت جيوش أقوى دول العالم على أبواب الآستانة فى الوقت الذى كان قد خيل الى العالم أن حملة الـ « آل سنجاق » (العلم التركى الأحمر) قد أصبحوا فى خبر كان ودخلت سلطنتهم وسيادتهم فيما قدر لها من صفحات التاريخ . .

وقف اليوم هذا الجيش اللجب ، الشاب القوى ، المزود بأحدث معدات الحرب الآن ، وقف ليستعرضه وليرد له تحياته العسكرية الصميمة المشير « الغازى مصطفى كمال باشا » ، قائده العام بالأمس القريب — يوم أن كانت الأرض غير الأرض والسماء غير السماء فى الجبهة الغربية من بلاد الأناضول — وزئيسه الأعلى اليوم الذى أخذ يزور الأماكن التى قد يغر ضعف فى استحكاماتها أو عدم اعتناء فى حراستها من يسوقه سوء حظه من جيوش الغرب إلى أن يشتبك معها . .

وعلى أثر عودة الغازى الى الآستانة من طوافه لغرب الأناضول ومن استعراضاته لحماة سواحل تركيا الغربيـة والجنوبية دوى فى قاعات عصبة الأمم والقاعات السياسية الأخرى فى أوربا خبر التوقيع على معاهدة أصبحت بموجبها دول البلقان — كلها تقريباً — كتلة واحدة بزعامة سيدة البوسفور ، وأعقب ذلك اتفاق بين فرنسا وروسيا السوفيتية حليفة تركيا القوية . ومن ثم اعتراف شبكة بلقان بروسيا نتيجة للمساعى التى بذلها فى ذلك السبيل توفيق رشدى بك (ساعد الغازى السياسى) . .

وليس هذا كل ما فعله الأتراك على أثر غلطة « الدوتشى » الزعيم الايطالى الأعلى ، تلك الغلطة التى القت فى يد الكماليين سلاحا قوياً ليستعملوه الى أقصى حد ممكن ؛ فرصـة انتهزها الأتراك واستغلوها لصالحهم الى أبعد الحدود المستطاعة . .

أمر داهية تركيا أن يخصص فوراً — بحجة الخوف من غارة ايطالية — ثلث الميزانيـة العامة لهذه السنة لاعلاء شأن الدفاع القومى ؛ وأوصى اليابان — صديقته الجديدة — بصنع بوارج وغواصات ونسافات وطرادات وغيرها من معدات القتال البحرى ، كما أوعز فى الوقت نفسه الى وزير خارجيته وممثله فى عصبة الأمم أن يطلب الى ممثلى الدول أن يأذنوا لتركيا لتلحق القسم المعتل الوحيد من معاهدة لوزان بامثاله من مجموع فصول معاهدة (سيفر) التى كان توقيع الكماليين عليها قد جرى ، لا كما جرى عليها توقيع باقى دول الإتفاق الرباعى ، انما برؤوس الحراب المسمومة التى مزقتها إرباً إرباً وقبرتها فى مهدها فيما يتعلق بتركيا ، بينما ألمانيا الهتلرية الآرية العظيمـــة لاتزال الى يومنا هذا تعمل المستحيل للتخلص من بعض أغلال تلك المعاهدة . وعلى ذلك تقـدم ممثل تركيا الى مجلس جنيف وأبلغ أعضاءه رغبة الأمة التركية فى تحصين المضايق وتسليحها ، اذ أن هذا القيد الوحيد الذى أجبرت ظروفه الدقيقة تركيا أن ترتضى به كتذكار — وقتى على الأقل — لمعاهدة لوزان التى اعترف فيها باستقلال تركيا المطلق ، لم يعد الآن يقوى على نمو ساعد تركيا الفولاذى

إن هـذا القيد قد أكله الصدأ وتصدع من جوانبه كلها ، ولا يلبث حتى يتفتت من تلقاء نفسه إن لم يسرع ممثلو الدول فى التقاط أوصاله التى ستتطاير فى القريب ليحتفظوا بما ضحوا فى الدردنيل . .

(ولو أن السير جون سيمون صرح حديثاً وهو ، مسرور ، فى مجلس العموم «أن توفيق رشدى بك قد وعده أخيراً بأن تركيا سوف لاتصر على هذا الطلب فى الوقت الحاضر ؟ ! . .)

***

وها هى ذى الأسلاك أخذت تنبئنا الآن بأن صاحب الجلالة رضا شاه پهلوى امبراطور ايران العظيمة قد ترك بلاده لأول مرة فى أيام حكمه ، واجتاز الحدود التركية ووصل بموكبه الشاهانى المؤلف من (٤٠) وزيراً وقائداً واختصاصياً ومرافقاً الى (أنقرة) عاصمة الكماليين ، محروساً طول الطريق بقوات مضيفه من البر والبحر والجو ، ومستقبلاً ومشيعاً حيث ما مر من بلاد جارته العزيزة بهتاف الشعب التركى بحياة جلالته الغالية ، وذلك اجابة منه لدعوة بلغته من زميله الحاكم الشرقى الكبير ، وجاره القوى العزيز ، الذى اقام على انقاض حكومة (الرجل المريض) البائدة ، هذا الصرح الشامخ ، وهذا السد المنيع فى وجه أوربا كلها ، والذى دعاه ليرتبط واياه بروابط ستهلع لها قلوب الكثيرين من طغاة أوربا المتجبرين . ومن بينها ، على كل حال قلب

الدكتاتور الأيطالى ، صاحب التهديد ، الذى لابد وقد بلغته أيضاً الخطب الشديدة والكلمات النارية التى ألقاها أخيراً فى المجلس الوطنى الكبير نواب الأمة التركية ، جواباً على تهديداته المعروفة ، وكذلك التصريحات الرسمية التى ختم بها هذه الجلسة شكرى قايا بك بالنيابة عن زميله وزير الخارجية الغائب ، عن موقف تركيا فى الحرب المقبلة والتنويه الصريح الذى نوه به هذا الى المصير السيء المنتظر على حدود تركيا وسواحلها الصلدة الصلبة المهلكة لكل من تحدثه نفسه بأن ينظر خلسة أو بأن يمد فى ساعة جنون أو غرور يده الى الأرض التى يفتديها فى كل لحظة ١٧ مليون تركى وتركية ، من أعظم الأمم وطنية وشجاعة ، وعلى رأسهم وفى مقدمتهم صناديد تركيا العظام الذين باعوا النفس فى سبيل هذه التربة عشرات المرات : وهم الغازى وجماعته من كبار القادة

وعلى كل حال فلسنا هنا فى معرض الانتقاص من قدر موسولينى انما أردنا أن نبين أن الشرق مهد البطولة والأعمال الخالدة ومهبط الوحى ومنبت العلم والمدنية لايعدم فى أيامنا أيضاً أن يرد الغرب على أعقابه خاسراً نادماً ، ويرفع رأس الشرق والشرقيين عالياً .

وقد أردنا بهذا المقال أن نبين بصورة خاصة كيف أجاب جبار الشرق على تهديد جبار الغرب ، وكيف ان القوة وحدها هى التى يحترمها الأقوياء ويهابون جانبها ، وكيف ان القوى وحده هو الذى يطلب وده وتلتمس صداقته .

بغداد — ع . مولود

الأدب كما ينبغى أن يكون

بقلم الأستاذ احمد احمد بدوى

ماغاية الأدب ؟ وما رسـالته فى الحياة ؟ سؤالان إذا نحن استطعنا الاجابة عنهما أفلحنا إلى حد كبير فى تحديد ما ينبغى أن يكون عليه الأدب ، وما يجب أن يأخـذ به الأدباء أنفسهم حتى يصلوا أو يقاربوا المثل العليـا التى ننشدها فى الحياة ، ولا تظنوا أن الاجابة عن هذين السؤالين هينة يسيرة ، بل هى عسيرة جداً ، ومع عسرها تختلف باختلاف العصور إن لم تختلف باختـلاف الأفراد ، ولـكنى أستطيع أن أقول : إن الأدب الخالد ، أو بعبارة أخرى مايجب أن يكون عليه الأدب ليكون خالداً ، هو تصوير المثل العليا للانسانية ، ونشدان هذه المثل ، إذ أن غايتنا فى الحياة هى السير إلى المثل العليا بجد وعزيمة حتى نحققها أو نقاربها ، وبما أن الأدب هو المعبر الدقيق عن عواطف الانسانية وآمالها وأحلامها ، فلتـكن مهمته فى الحياة هى تصوير المهمة الملقاة على عاتق الانسانية وإن الانسانية لتسير إلى المثل العليا على قدمين : العلم الذى يحقق الناحية المـادية للمثل العليا ، والأدب الذى يحقق منه الناحية الروحية . وقد فرغ العلماء من إثبات مابين الناحيتين من تآزر وارتباط ، وليس من واجبى الآن أن أتحدث عن المثل العليـا للانسانية فذلك يحتاج إلى كتب تؤلف فيه ، ولـكننى فقط أحدثـكم عن بعض هذه المثـل مصورة فى الأدب ومقتبسة من حياتنا المصرية الحاضرة

— ١ —

إذا نحن ذهبنا إلى الشعر العربى وجدنا فيه القيم الخالد ، وإلى جانبه الـكثير من الردىء البائد ، ولن أحدثـكم عن رداءة الشعر أو جودته من الناحية اللفظية ، ولـكن من الناحية الروحية وناحية مايبعثه فى النفس من وجدان وشعور ، يسمو بنا إلى حيث نحقق ماخلقنا له ونعيش من أجله .

فى الشعر العربى صور لا أغالى إذا قلت إنها ضعيفة لاتستحق خلوداً ، ولا ينبغى أن نلقنها نشأنا ، ونؤدب بها أبناءنا ، لأنها تنأى بنا عن بلوغ غاياتنا ، وسأعرض طرفاً من هذه الآداب مقتصداً فى إيراده ما استطعت . ففى الأدب العربى كثير من الشعر الذى

أسميه شعر الضعف والاستسلام للواقع ؟ فتسمع فيه تلك النغمة التى تحقر العمل وأرباب العمل ، وتدعو بملء فيها إلى الرضا وإلى الاستسلام ، ومنشأ هذه النغمة على ما أرى هو إيمان أصحابها بالقضاء والقدر إيماناً معكوساً ؛ إذا هم قد حسبوا ، وهم مخطئون فيما حسبوا ، أن القضاء أو القدر لهما تأثير فعلى فى فعل الانسان وإرادته ، وإذا كان الأمر كذلك فما قدره الله جل وعلا لابد واقع لامحالة ، سواء أعمل المرء أم لم يعمل ، وإذا كان العمل ، وترك العمل سواء ، فمن العبث البين أن يكلف الانسان نفسه مؤونة الجد والجهاد والمزاحمة فى تلك الحياة ، لأنه لن ينال على ذلك أجراً ، غير ما كان يناله لو كف عن جده وجهاده ، وليس غرضى الآن أن أبين خطأ ذلك التفكير ، فانه من البين الواضح أن القضاء والقدر ليسا إلا علم الله فحسب بما سيكون ، والعلم ليس من صفات التأثير بل هو من صفات الكشف والايضاح لادخل له فى قدرة الانسان وإرادته

الايمان بالقضاء والقدر على تلك الصورة التى أسلفت ذكرها هو إيمان بالجبر ، وإيمان بالحظ على الصورة السطحية التى لا تتغلغل فى حقيقة الأشياء ، فأنكرت قدرة الانسان وإرادته ودعتنا إلى الضعف والاستسلام وأنتجت لنا هذا اللون من الأدب الضعيف قال الشاعر :

وما فسدت أخلاقنا باختيارنا ... ولكن بأمر سببته المقادر
وفى الأصل غش والفروع توابع ... وكيف وفاء النجل والأب غادر ؟
فقل للغراب الجون إن كان سامعاً ... أأنت على تغيير لونك قادر ؟

وقال أيضاً :

ويجرى قضاء مالكم عنه حاجز ... فألقوا إلى مولاكمو بالمقالد

وقال أيضاً :

وجبلة الناس الفساد وفضل من ... يسمو بحكمته إلى تهذيبها

وقال أيضاً :

لاتمدحن ولا تذمن امرأ ... فيها ، فغير مقصر كمقصر

وقال غيره :

عزت مطالب دنيا كل ذى أدب ... وهان مطلب دنيا الأحمق الخرق
وقدر الله فيها أن يذللها ... فهان مطلبها للجاهل الحمق
فليس ينفك ذو علم وتجربة ... من مأكل جشب أو مشرب رنق
وذو الجهالة منها فى بلهنية ... من مسمع حسن أو منظر أنق
تبارك العدل فيها حين يقسمها ... بين البرية قسماً غير متفق .

ذلك شعر ينبع كله من واد واحد ومعين واحد ، هو الجبر والايمان بالقضاء والقدر إيماناً معكوساً ، والايمان بالحظ إيماناً ساذجاً ، وسأتركُكم إلى أنفسكم تحكمون على هذا الأثر الذى يتركه ذلك الشعر فى النفوس ، وهل يقربها إلى مثلها العليا ؟ ! أو هو على العكس من ذلك يؤخرها ويسير راجعاً إلى الوراء ، إنكم رأيتموه يدعونا إلى الرضا بفساد أخلاقنا ؛ لأن الفساد ليس باختيارنا ، ولكن بأمر سببته المقادر ، ونحن عاجزون تماماً عن تغيير أخلاقنا عجز الغراب عن تغيير لونه ، ورأيتموه يدعونا إلى الضعف والاستسلام للقضاء والالقاء إليه بالمقالد ، ورأيتموه يسوّى بين الناس مقصرين وغير مقصرين ، فكلهم لايستحقون مدحاً ولا ذماً ، لأنهم لم يأتوا ما أتوه بقدرتهم واختيارهم ، بل هم مجبرون على أن يفعلوا ما فعلوا ، ورأيتموه يقرن الرزق الواسع بالجهل ، والرزق الضيق بالعلم ، لأنه يؤمن بالحظ ، وإذن فعلى العلم والتعلم السلام ، لأن أحداً من الناس لا يرضى برزقه مقتراً ، ورأيتموه يؤمن بالحظ ويزرى بالعمل والجد ، فقدروا بأنفسكم ما يبعثه هذا الشعر فى النفوس من ضعف واستكانة واستسلام تبعد بنا عن المثل العليا التى لاتثبت ولا تقوم إلا على دعائم من العمل ثابتة وطيدة ، حقاً أنا أومن بالقضاء والقدر ، وأنا شخصياً أومن بالحظ ، ولكنه إيمان ليس كايمان هؤلاء ، إذ أنى أعتقد أن الايمان بذلك كله لايحول بين المرء وعمله ، لأنه ما يدريه أنه قد كتب له الشقاء وقدر عليه التعس ، وأن حظه بائس منكود ، وما يدريه أنه على العكس من ذلك قدر له السعادة ، وكتب له النجح وأن حظه حظ السعيد الموفق ؟

وبعد ذلك آخذ بيدكم لأريكم أدب القوة والهمة والأرادة وهى هى التى تأخذ بيدنا إلى بلوغ المثل العليا ، قال الشاعر :

ذرينى من ضرب القداح على السرى ... فعزمى لايثنيه نحس ولا سعد
سأحمل نفسى عند كل ملمة ... على مثل حد السيف أخلصه الهند
فان عشت محموداً فمثلى بغى الغنى ... ليكسب مالاً أو ينث له حمد
وإن مت لم أظفر فليس على امرئ ... غدا طالباً إلا تقصيه والجهد

وقال غيره :

ذرينى أنل مالا ينال من العلا ... فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل

تريدين إدراك المعالي رخيصة ... ولابد دون الشهد من إبر النحل

وقال أيضاً :

يهون على مثلي إذا رام حاجة ... وقوع العوالي دونها والقواضب

ويعجبني هنا ما قاله أحد شعراء الانجليز وترجمه إلى العربية بعض أدباء الشباب قال :

ليَ قلب لايهاب ... فزعت منه الصعاب
بين أيامي وبيني ... حادثات وغلاب
لست أشكو إنما الشـ ... ـكوى من الحر تعاب
أنا ربان سفيني ... هاج أو قر العباب
فليلن أو يقس دهري ... إن قلبي لايهاب

فافرقوا بين الاحساسين اللذين يبعثها هذان الشعران المختلفان مورداً وينبوعا ، وإني واثق الثقة كلها من أن الاحساس الذي يبعثه فيكم الشعر الثاني هو الاحساس بالقوة والاحساس بالارادة ، وإنا نطلب من الشاعر أن يحدثنا دائما عن قوة إرادتنا ، وأنا نستطيع فعل كل شيء لأن ذلك يبعث فينا إيماناً جديداً وعزيمة جديدة بل ويخلقنا خلقاً جديداً ، وإن قوة الارادة هي المنبع الفياض والمعين الذي لاينضب للنجاح في الحياة وبلوغ المثل العليا ، أما الشعر الأول فشعر ضعيف مستسلم لاينفعنا ولا يهذب من إرادتنا

ولون آخر من ألوان الأدب الضعيف يتصل بالأدب الجبري ، وقد يكون خدينه وشقيقه لأنه يستقي من معينه وينبع من ورده ، وأعني بهذا اللون أدب الزهد والقناعة ، ويطول بي الحديث إذا حدثتكم عن العوامل التي أنتجت لنا هذا النوع من الأدب ، وإن كنت أرجع جل هذه العوامل الى سوء فهم الشرق للدين ، فقد فهمنا وكنا مخطئين حين فهمنا أن الدين الاسلامي وهو دين العمل والجهاد ودين الرفعة والطموح — يدعونا إلى الزهد في الدنيا والقناعة بما نصيبه منها من صبابة قليلة ، فهمنا ذلك ، ووجدت هذه التعاليم التي أخطأنا فهمها مرعى خصباً من قلوبنا الضعيفة الخائرة ، وآنست من قلوبنا ضعفاً وقلة ثقة بالقدرة على الجهاد ، والتغلب على مايعترض سبيل الحياة وسبيل النجاح من صعاب وعقبات ، فقنعنا بما في أيدينا من قليل لايرضى به إلا ضعاف النفوس ضعيفو الهمم ، فكان ذلك أكبر عامل في خلق هذا الأدب الزاهد القنوع ، فأصبحت تسمع كثيراً من مثل قول الشاعر :

تبغي من الدنيا الكثير وإنما ... يكفيك منها مثل زاد الراكب

وقوله :

أيها الباني قصوراً طوالا ... أين تبني ؟ هل تريد السحابا ؟
أأمنت الموت والموت يأبى ... بك والأيام إلا انقلابا
أبت الدنيا على كل حي ... نالها إلا أذى وعذابا
إنما داعي المنايا ينادي ... احملوا الزاد وشدوا الركابا

وقول الآخر :

مرحبا بالكفاف يأتي هنيئا ... وعلى المتعبات ذيل العفاء
ضلة لامرىء يشمر في الجـ ... ـمع لعيش مشمر للفناء
دائبا يكنز القناطير للوا ... رث والعمر دائباً في انقضاء
حبذا كثرة القناطير لو كا ... نت لرب الكنوز كنز بقاء
يحسب الحظ كله في يديه ... وهو منه على مدى الجوزاء
ليس في آجل النعيم له حظ ... وما ذاق عاجل النعماء
ذلك الخائب الشقي وإن كا ... ن يرى أنه من السعداء
حسب ذي إربة ورأى جلي ... نظرت عينه بلا غلواء
صحة الدين والجوارح والعر ... ض وإحراز مسكة الحوباء
تلك خير لعارف الخير مما ... يجمع الناس من فضول الثراء

إلى غير ذلك من أدب يحمل الدعوة إلى الزهد والقناعة ، وإذا نحن أردنا أن ندرك آثار هذا الأدب فانه يجب علينا أن نتصور شعباً نائماً كسلاً ، لايجد ولايعمل إلا بقدر ضئيل ، وماله يجد وماله يعمل ، وقد وجد ما يمسك حوباءه ووجد قوته الضروري ؟ وإني أكاد أعتقد أن تأخر الشرق في ميادين الاختراع وفي ميادين العمل يعود كثير منه إلى خلق الزهد وخلق القناعة الذي غرس في قلبه وأثر في كل عمله ، بل إني أكاد أعتقد أيضاً أن استغلال الغرب للشرق يعود إلى هذا الخلق الوبيل الذي يجرنا الى الفناء ، فلندع القناعة بمعناها الذي ضرنا وأخرنا ، ولنتقبلها بمعنى ألا نطمع فيما في يد غيرنا ، أما بمعنى الرضا بالقليل فيجب أن نذهب بها إلى قبر لاتخرج منه لترى ضوء الحياة ، ولنقبل على أدب الطموح وأدب الآمال الذي يسمو بنا عن الرضا بالقليل نناله من غير أن نبذل عناء في نيله ولا تعباً ، ولنكرر دائماً مثل قول الشاعر :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة ... كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل ... وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وقول الآخر :

ذريني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير
وأضيعهم وأهونهم عليهم ... وإن أمسى له حسب وخير
يحقره الندىّ وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير

زرياب *

بقلم محمد قدرى لطفى
ليسانسيه فى الآداب

رجل من رجال الفن ، خلق له وفطر عليه ، لعل فى سيرته الطريفة مثلا للموهبة الطبيعية ، ترفع من شأن صاحبها فتبلغ به الذروة وتجعله شيئاً مذكورا ، يتحكم فى حياة أمة بأسرها ، فيبدل فيها ويغير منها ، ويؤثر وحده فى طبائع أهلها وما ورثوه من تقاليد ، ويخلق فيها من العادات والفعال مالم يكن بها وما ليس يخطر لأهلها على بال .

هو أبو الحسن على بن نافع مولى المهدى الخليفة العباسى كان أسود اللون ، حلو الشمائل ، وكان شاعراً مطبوعا فصيح اللسان ، لقبه قومه بزرياب تشبيهاً له بطائر عنـدهم أسود اللون ، عذب الصوت ، حلو التغريد ، وكان زرياب رقيق الحس ، دقيق الشعور ، له حنجرة لم تخلق لغير الغناء ، وأنامل كأنما أعدت للعود ، ونفس تميل الى الفن ، وروح يهفو الى الطرب ، تتلمذ لاسحق بن ابراهيم الموصلى ببغداد يدرس عليه أصول الصناعة ويتعلم منه دقائق الفن ، وكان اسحق يعلمه الأغانى ويلقنه الألحان ، حتى اذا خلا زرياب بنفسه خلق من فن اسحق فناً جديدا ، وهداه صفاء نفسه وسمو روحه الى كل معجب مطرب ، واسحق لا يعلم من أمر تلميذه شيئاً ولا يدرى أنه أخذ منه فتفوق عليه .

وذهب اسحق الى مجلس الرشيد يبعث فيه السحر كعادته وينطق فيه العود بالغناء الشجى والنغم العذب ، والخليفة مصغ اليه معجب به ، تأخذه حلاوة التوقيع وتروقه عذوبة الألحان ، حتى اذا فرغ اسحق من غنائه التفت اليه الرشيد يثني عليه ويمدحه ويحادثه فى صناعة الغناء ، فما هو الا أن يتشعب بهما الحديث حتى يقترح عليه الرشيد أن يسمعه مغنياً غريباً يجيد فنه ويحسن صنعته ممن لم يشتهروا عنده ولم تبلغ مكانتهم اليه ، فيـذكر له اسحق تلميـذاً له قد علمه وأعجب به يتوسم فيـه الاجادة وعلو الـكعب فى صناعة الغناء .

مثل زرياب أمام الخليفة فسأله عن معرفته بالغناء قال « نعم ! أحسن منه مايحسنه الناس وأكثر ما أحسنه لايحسنونه ... فان أذنت غنيتك مالم تسمعه أذن قبلك » وأخذ يصف له عوده وما ركب عليـه من أوتار لها فى الترنم والصفاء والعذوبة ما ليس لغيرها وما أن يأذن له الرشيد حتى يوحى الى عوده فيغني معه :

يا أيها الملك الميمون طائره   هرون راح اليك الناس وابتكروا

ويظل يغني والرشـيد يسمع حتى يتم أبياته فى نغم لم يسمع الخليفة مثله ، ولحن لم تردد نظيره جنبات القصر ، ويطير الرشيد طرباً ويسمع من الانغام جديداً لم يسمعه اسحق مثله فيعاتب اسحق كيف ترك الرجل من قبل فلم يعلمه به ، ثم يأمره أن يأخذه لديه فيغنى به حتى يفرغ هو له .

أما اسحق فأسرها لتلميذه ، ولم يكد يخلو به حتى عنفه واشتد فى تعنيفه وصارحه بما هاج به من الحسد له والغيظ منه ، وخيره بين اثنتين لا ثالث لهما ، فاما أن يغادر تلك البلاد فلا يراه بعد ذلك أبداً ويعطيه على ذلك أغلظ الايمان وأوثق العهود وله عليه مايريد من مال أو عطاء ، وإما أن يقيم على كره منه وشركة له فى الصناعة وعند ذلك لن يأمن غدره ولن يغنيه الحذر شيئا ، وأما زرياب

* نشرنا عن زرياب فصلا ضافيا ممتعا للأستاذ العبادى فى ص ٨ من العدد (٧) من الرسالة

ويلقى ذو الغني وله جـلال   يـكاد فؤاد صاحبه يطـير
قليل ذنبـه ، والذنب جم   ولـكن للغنى رب غفور

وقول الآخر :

من الناس من يرضى بميسور عيشه   ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولـكنّ قلبا بين جنبيّ ماله   مدى ينتهى بى فى مراد أحده

وقول غيره :

ياشباب الغد وابناى الفـدا   لـكمو ، أكرم وأنعم بالفداء
لاتقولوا حطنا الدهر ، فما   هو إلا من خيال الشعراء
واطلبوا المجد على الأرض فان   هى ضاقت فاطلبوه فى السماء

وانى مع شوقى يوم قال واصفاً شباب مصر :

شباب قُنَّع لاخـير فيهم   وبورك فى الشباب الطامحينا

ولـكنه من الواجب ألا نلقى العبء كله على الشباب ، بل هو ملقى على التربية والآداب ، فالأدب الشعبى الدارج ملىء بالقناعة والأدب المدرسى مثله .

« يتبع »   أحمد أحمد بدوى

فلم يكد يرى أستاذه ينفس عليه رضاء الخليفة ، ولم يكد يسمع منه هذا الوعيد المخيف حتى قام من فوره يبغى بلاداً غير هذه وناساً غير هؤلاء ، وأما الرشيد فانه لم يكد يفرغ من بعض شؤونه حتى سأل عن زرياب أستاذه فزعم له اسحق أنه رجل غر أحمق ماهو الا أن أبطأت عليه جائزة أمير المؤمنين حتى رحل غضبان ينعى على الأيام أن أوقعته فيمن لا يقدرون النبوغ ولا يكرمون النابغين ولا يعرفون الغث من السمين فسكن الرشيد الى قول اسحق .

سار زرياب اذن من المشرق وكان المغرب قبلته فولى نحوها وجهه ، وراح فى الأندلس يلتمس مالم يظفر به فى العراق من بعد الصيت ورفعة الشأن ، وكتب الى عبد الرحمن بن الحكم يعلمه بمكانه من الصناعة ويسأله الاذن له فى الوصول اليه ، وما هو الا أن يقرأ عبد الرحمن الكتاب حتى يرحب بصاحبه ويوصى عماله على البلاد أن يحسنوا اليه ويوصلوه الى قرطبة ، وفى قرطبة يبدع زرياب ويعلك على الأمير نفسه فيطرح كل غناء سواه ويقدمه على جميع المغنين ويقطعه الأرض ويمنحه المال ويبلغ اعجابه به حداً لا مثيل له ، فيفتح له باباً خاصاً يستدعيه منه متى أراده ، وزرياب يذهب فى الغناء كل مذهب ويضرب فى التجديد بسهم وافر : هذه أعواد القوم لها أوتار أربعة ، فليزد هو عليها وتراً خامساً يستهوى النفس بما يحدثه من النغم ، وها هى أعواد المغنين كبيرة الحجم ثقيلة الوزن فليكن عوده خفيفاً مرهفاً دقيق الصنع ، وهذا مضراب العود قد استعمله الناس من خشب فهو ثقيل فى اليد قاس على الأوتار ما يلازمها قليلا حتى يقطعها أو يفسدها ، فليكن مضراب عوده من قوادم النسر فهو خفيف على الأنامل رفيق بالأوتار وان طالت ملازمته لها ، وها هى ألحان القوم معدودة وأغنياتهم معروفة فليجدد هو فى اللحن ، وليأت من النغم بكل طريف وليُسمع القوم من أغانيه وألحانه ما يعد بالآلاف .

وكان زرياب أيضاً قد جمع إلى براعة الفن وحلاوة الترجيع سلامة الذوق وترتيب الذهن فهو سمير اذا جالس الأمير أو أشراف الأمير ، وهو طيب الحديث إذا تحدث ، ماهر فى خدمة الملوك ، يجيد استقبال الضيوف والزائرين ، متأنق فى ملبسه يعنى بزينة نفسه حتى صار مثالاً فى الأناقة يحتذى ، أخذ عنه أهل الأندلس وحاكوه ، فلم يعودوا إلى إرسال الشعر مفروقا وسط الجبين مسدلا إلى الخدين والحاجبين وانما فعلوا كما يفعل زرياب ونساء زرياب ، فحذفوا شعورهم وقصروها دون الجباه وسووها مع الحواجب ودوروها الى الآذان وأسدلوها إلى الخدود ولم يعودوا الى ملاحف الكتان يلتحفون بها ، وانما فعلوا كما يفعل زرياب فآثروا على الكتان أنطاع الأديم الناعمة ، ولم يبق الناس على ماهم عليه من خلط بين ملابس الشتاء وملابس الصيف ، وجهل بما يلائم الربيع وما يناسب الخريف ، وانما علمهم زرياب أن لكل زمان ثيابا ، فللربيع الملون الزاهى ، وللخريف الخفيف الملون ، وللشتاء الثياب الكثيفة ذات الحشو والفراء ، وللصيف البياض من الثياب ، وكذلك عرف الناس مذ جاءهم زرياب صنوفا من الطعام لم تكن لهم بها دراية ولا بطعمها علم واستعمل القوم فى الأندلس من العطور مالم يألفوه من قبل ، وفضلوا آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة لأن زريابا كان يؤثر الزجاج ويتناول شرابه فيه

وكان زرياب ايضاً قد علم بناته وجواريه أحسن الأغانى وأدبهن بأدبه فبرعن فى الغناء وأتقن الصناعة ، فكانت حمدونة ابنته عند أهل بيتها فى الصدر ، وكانت أختها علية كذلك ، وتزوجت من الوزير هشام بن عبد العزيز ، أما جاريته مصابيح فقد جمعت إلى جمال الصوت جمال النبل كتب صاحب العقد الفريد الى مولاها وقد حجبها عن الناس واختص بها مجلسه يقول له :

يامن يضن بصوت الطائر الغرد
ما كنت أحسب هذا الضن من أحد
لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة
أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

فأدخله مولاها الى مجلسه وأذن له فى سماعها

ووضع زرياب المراسم لافتتاح الغناء فما يفتتح غناء فى الأندلس الا وأوله النشيد وآخره الاهزاج فأكسب زرياب المحافل روعة وأهدى المجالس باقات من الفن زاهيات ، وكان وحده فنا انتقل الى الأندلس ، وحضارة عمت قرطبة ؟

محمد قدرى لطفى

فن البنـــاء
عند المصريين والأغريق

بقـــلم محمد علوى

لا شك أن أهم مظاهر الحضارة الفرعونية هو فن العمارة . ولما كان للدين عند الفراعنة المنزلة العليا نجد أن درجة اهتمامهم به ظهرت جلية فى معابدهم ، وهى أهم ناحيــة ضرب فيها الفنان المصرى بسهم . ولم تــكن مصر هى البلد الوحيد الذى اهتم بأمر المعابد ، فقد تبعها فى ذلك الأغريق أيضا ، وكفاهم فخراً معهد (البارثينون) فى (الاكروبوليس) بأثينا ؛ فلقــد كان هذا المعبد ولا يزال آية فى الجمال ، أجمع جميع الفنانين على أنه لا يوجد له فى العالم مثيل . فقد راعى فيه بانيه خداع النظر فى الأجسام المنظورة فتلافاه بكل الوسائل ، فـكان معبـده أشبه ببللورة طبيعية جميلة . ومع كل ذلك فان الفنان المصرى قد سبق زميـله الاغريقى فى تصميم معبده ؛ فانك اذا وقفت أمام المعبد الاغريقى لاشك تشعر برهبة وذهول . ولـكن هذه الرهبة ليست إلا نتيجة لقوة الجمال وحسن التنسيق ، أو بمعنى أقرب إن تأثير هذا المعبد كتأثير حسناء كملت فيها معانى الجمال . فكأنما فن البناء الاغريقى أراد أن يأسر لب المتعبدين بسلطان الجمال . ولـكن ليس هذا هو الغرض الذى من أجله كلف بتصميم المعبد ، وفى رأيى أن هذا خروج عن الموضوع الدينى ، ولو أنه خروج لم يخل بقيمة المعبد من حيث جماله .

أما المعبد الفرعونى فهو يشعر بالهيبــة والعظمة فالخضوع والرهبة ، ولـكن هذا الخضوع ناشىء عن الشعور بالضعف أمام القوة والرهبة الدينية ، وهذا ما أحسه أنا الآن وأنا بعيد عن البيئة التى كانت تحيط بالمعبد فى حداثته ، وبعيد عن العقيدة الدينية التى كانت تتملك شعور أسلافنا .

إن الفنان المصرى كان أعظم مما نقدره به وأوسع خيالا ، فنراه قد راعى فى معبده صلاحيته للعبادة من جميع النواحى ، فجعله لا يصلح إلا للعبادة ، بل والعبادة لا تصلح أن تقام إلا بين جدرانه . فتصميم المعبد واختيار موقعه فى مكان بعيد عن الحياة المادية الدنيوية ، والبيئة الدينية التى أحاط بها الفنان البارع معبده ، كل هذا يفصل المتعبد عن العالم المادى فيحصر ذهنه فى دائرة روحانية بحتة .

لست أريد أن أحكم على مقدرة هذا المهندس البارع ، بل سأوضح عمله ، وأترك لـكم الحكم على كفايته وموهبته

اختار هذا الفنان لجميع معابده أن تقع فى نهاية طريق مستقيم جداً ومتسع ، بحيث ينتهى هذا الطريق بواجهة المعبد الشامخة ، يتوسطها بابه الصغير ، وقد خصص هذا الطريق مهما بلغ طوله ، (وقد يصل الى ثلاثة كيلومترات) للمعبد فقط ، فلم يسمح بانشاء أى نوع من المصالح أو المبانى على الجانبين ، بل أنشأ على حافتيه وعلى مسافات متساوية تماثيل ضخمة متساوية ومتماثلة لمعبود معروف رأسه رأس كبش ، وجسمه جسم أسد . فتصور تأثير هذين الصنفين من التماثيل المتوازية المتماثلة ، والأفريزين الممتدين بجانبى الطريق ، تلك المستقيمات المتوازية تظهر للرائى كأنها تتقابل وتتجمع فى نقطة واحدة كما تجمع العدسات الأشعة الضوئية فى نقطة واحدة ، وهذه النقطة هنا هى باب المعبد الصغير الذى يظهر عن بعد . وكما أن النظر تقوده تلك المتوازيات الى النقطة ، كذلك يكون التأثير على الأذهان الشاردة ، فهذا يساعدها على أن تتجمع وتتركز فى العبادة . هذا بخلاف ما كان يعتقده الفراعنــة من أن هذا الطريق مقدس لا يطؤه غير المطهرين الأبرياء ، وأن تلك التماثيل الجانبية كانت تراقب حركات المارة وأفكارهم طوال الطريق . وكان المصريون يتوجهون الى المعبد تحت هذه التأثيرات فى موكب تتمثل فيـه معانى الخشوع ، يتقدمه غالباً الفرعون وحاشيته ، حتى اذا اقتربوا من المعبد يمرون تحت قوس نصر فخم أشبه ببوابة شامخة يبلغ طولها نحواً من ثمانية وثلاثين متراً فى معابد الـكرنك . فتصور كيف يشعر المار من تلك البوابة بضآلته أمام هذا العلو الشاهق وهو يعتقد أنه بمجرد مروره منها تطهر نفسه مما قد يكون عالقاً بها من الأدران ، فيصبـح طاهراً يصلح لأن يقترب من المعبد ، وبعد ذلك يمر الموكب بين مسلتين شاهقتين ، كتب عليهما تاريخ انشاء المعبـد وبعض الرموز التى تمثل شارة المعبود الذى فى المعبد ؛ وهنا يجد الموكب نفسه أمام بناء شامخ مثال للقوة والبطش والجمال ، وهذا هو المعبد ذو الواجهة الجرانيتية

الضخمة التي تتكون من هرمين شامخين ناقصين متقاربين ، يتوسطهما باب المعبد الصغير ، وعلى جانبيه تمثالان عظيمان (يصل طول كل منهما الى عشرين مترا كما فى معبد « أبي سمبل » شمال الشلال الثاني) ، وهذان التمثالان يمثلان فرعون ، ويرى الواقف بباب المعبد عدة أبواب متتالية ومتساوية الاتساع ، تقع جميعها على محور واحد عمودي على الواجهة غالباً ، وقد تصل المسافة بين المدخل والباب الأخير الى ثلثمائة متر ، وهذا الباب الأخير هو باب مخدع الآلـه الأعظم .

وأول ما يلفت نظر الداخل فى المعبـد هو البهو الـكبير ذو الأعمدة الضخمة ، وقد بلغت مساحة ذلك البهو الفخم فى معابد الـكرنك ثلثمائة متر فى خمسين مترا ، وهذا البهو مسقف بكتل عظيمة من الأحجار يحملها أربعة وثلاثون ومائة عمود ، مصطفة فى ستة عشر صـفاً ، وطول أعمدة الوسط منها ثلاثة وعشرون متراً وقطرها ثلاثة أمتار ونصف . فتصور بهواً يحوى هذا العدد من هذه الأعمدة التي يبلغ ارتفاع الواحد منها ارتفاع عمارة مكونة من سبع طبقات تقريبا . كيف يكون تأثير مثل هذا البهو الرهيب الفخم فى نفوس المصلين ؟ ألا يمكننا اعتبار هذا البهو رمزاً للقوة والبطش كما أنه مثال العزلة والرهبنة ؟ إن طول قامة البشر فى هذا البهو لا يتجاوز قاعدة العمود . وبين تلك الأعمدة يقوم الشعب بتأدية الصلاة ؛ أما فرعون وحاشيته فيستمرون فى موكبهم مخترقين الردهات والدهاليز حتى يصلوا الى مخدع المعبود ، وهو مظلم لا يصله الضوء إلا من فتحة واحدة فى السقف ، قد وضعت بهندسة خاصة بحيث لا تضىء من المـكان سوى تمثال الاله ، حتى يخيل للرائى أنه يشع الضوء من جسمه . وأمام المعبود وتحت قدميه يوجد نضـد عظيم من الحجر ليضع عليه فرعون قربانه بين التراتيل والتعاويذ الدينيـــة ذات الأنغام الساحرة الرهيبة .

ولو كانت لى موهبة فى الايضاح أرق من ذلك لاستطعت أن أضع لـكم صورة أقرب للحقيقة للمعبد والدرجة التي وصل اليها من الابداع ، ولـكن عظمة ذلك الفن وروعته فوق أن يصفها قلمى الضعيف .

وهنا أقف بسيدى القارئ لأسأله : هل يوجد مكان أنسب لبناء المعبد من المـكان الذى اختاره الفنان المصرى ؟ هل يوجد بناء تتمثل فيه معانى القوة والخشوع والرهبة أصلح للعبادة من تصميم هذا الهيكل الفرعونى ؟ وهل يمكن إيجاد بيئة تحيط بالمعبد من الوجهة المعنوية والفنية أقرب للكمال من تلك البيئة التي هيأها هذا الفنان الحاذق ؟ أظن أنه لا يمكن أن نجيب على تلك الأسئلة إلا بالنفى . ولقد أجمع عظماء الفنانين فى العالم على أن المعبد المصرى هو صاحب المنزلة الأولى بين معابد العالم ، واذا أمكن تصور منزلة أسمى من الأولى لـكانت هى منزلة معبدنا ، وبالتالى فن عمارتنا الذى نفر ونهرب منه ، ونتناسى منزلته حتى فى هذا العصر الذى هو عصر تجديد وانقـلاب ، لم يفـكر أحد من كبار الفنانين المصريين فى إحياء هذا الفن الجميل ، أو ادخال روحه فى المنشآت الحديثة ، الا اذا استثنينا بعض الشواذ .

محمد علوى

قسم العمارة — مدرسة الفنون الجميلة العليا

١٠ ـ بين المعرى ودانتي

فى رسالة الغفران والـكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

تحدثنا معك فى المقال الماضى عن ابن القارح ، وتوسله بالسيدة فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان من أمر هذا التوسل والأذن له بدخول الجنة

والآن ماذا صنع ابن القارح ؟ انه تعلق بركاب سيدنا ابراهيم عليه السلام حتى بلغ الصراط ، وأشير اليـه بأن اعْبُرْهُ ، فلما وجد نفسه لا يستمسك قالت الزهراء لجارية من جواريها يا فلانة أجيزيه . فجعلت هذه تمارسه وهو يتساقط عن يمين وشمال ، فقال لها : يا هذه ان أردت سلامتي فاستعملي معى قول القائل :

ست إن أعياك أمرى فاحمليني زقفـــونه

فقالت : وما زقفونه ؟ !

فقال أن يطرح الانسان يديه على كتف الآخر ويمسك بيديه ويحمله وبطنه الى ظهره ، أما سمعت بقول الجلجاول من أهل (كفر طاب)

صلحت حالتي الى الخلف حتى صرت أمشى الى الورى زقفونه

فقالت : ماسمعت بزقفونه ، ولا الجلجلول ، ولا كفر طاب إلا الساعة ! ! !

ثم تحمله وتمر به كالبرق الخاطف حتى يبلغ الجنة ، فيمنعه رضوان طالباً منه جواز المرور ، فيطلب ابن القارح ورقة من صفصاف الجنة ليرجع بها الى الموقف ، ويأخذ عليها الجواز ، ولكن رضوان يأبى عليه هذا ، فيقول ابن القارح إنا لله وإنا اليه راجعون ، لو أن للأمير أبي المرجى خازناً مثلك ، ما وصلت أنا ولا غيري الى قرقوف[1] من خزانته

ولا يطول بينهما الحوار ، حتى يرجع اليه ابراهيم عليه السلام فيجذبه جذبة شديدة يحصله بها فى الجنة . . . أفرأيت اذاً كيف كان سبيل المعرى الى الفردوس مليئاً بالدعابة وبالمرح حين سقوط صك التوبة من ابن القارح ، وحين تدخله فى فض النزاع بين أبي على الفارسي ومشاجريه ، وفى دعابته مع الجارية ، وهو على الصراط فى أحرج المواقف وأدقها . فهل كان طريق دانتي كطريق المعرى ، كله دعابة وظرف ؟ لا . فقد كان طريق دانتي على العكس من طريق المعرى ، آلام وأوصاب ، وأهوال وعذاب . . . لقد كان طريق دانتي على النار يعبرها أولاً ثم (المطهر) بعدها حتى يصل الى الفردوس . فما ظنك بذلك الطريق الشائك المترع بالأهوال والآلام ؟ !

فبينا هو فى غابة موحشة اذا به يتخلص منها الى أكمة تكلل هامتها شمس الصباح فيهم بصعودها حتى اذا سار قليلاً رأى نمراً قبيحاً يسد عليه شعاب طريقه ، ثم يرى أسداً مخيفاً وذئبة قاحلة حدقته بنظراتها ، فكر راجعاً الى سفح الأكمة فرقاً ورعباً ، فثار فى نفسه اضطرابها حتى أتاه (فرجيل) فاستغاثه فهدأ روعه ، وحدثه بأن سبيل النجاة من هاتيك المخاطر هى رحلة فى أعماق الجحيم ، ومنها الى الأعراف ، ثم الى الفردوس . ثم حدثه بأن بياتريشي أوفدته لانقاذه مما هو فيه من أخطار . فاطمأن قلبه وهدأ روعه وعقد عزيمته على اجتياز الجحيم فاجتازها بين أنين العصاة وعويل المذنبين ، مما حدثتك عن كثير منه فى المناسبات الماضية . حتى اذا انتهت رحلته من جهنم أمسك فرجيل بابليس ، وأمسك دانتي بعنق فرجيل ، وساروا قليلاً حتى خلصوا من الجحيم ، وأسلمت الجحيم دانتي الى الأعراف فدخلها وسار فى جنباتها يتحدث مع العصاة الذين يتطهرون من ذنوبهم ومن آثامهم ، حتى اذا قارب نهايتها رأى نهراً ينفرج عن ماء رقراق ، فبصر بالنهر وبفتاة على سيفه الآخر ، وهى تغرد بصوت مطرب وتقطف الزهرات ، فطرب دانتي واقترب منها فقصت عليه حديث النهر ، وأن اسمه نهر ليتى (lete) نهر التوبة ، من اغتسل منه طهر من ذنوبه ، وبرئ من آثامه ، ثم عاودت الفتاة الغناء ، وعاد له من الفتاة الطرب

ثم تراءت أمام عينيه أضواء تشع فى أرجاء الغابة ، وتواردت على سمعه نغمات حلوة لم يكد يطرب لها حتى تراءت له من بعيد سبعة أجسام كأنها شجرات من خالص الذهب ، تبينها فاذا هى مصابيح تحمل أضواءها كل ألوان الطيف ، ويتلوها أربعة وعشرون شيخاً بجللهم وقارهم ، وتلقى عليهم الهيبة رداءها ، وتكلل رءوسهم زهرات الزنبق وتتبعهم عربة يقودها حيوان يشبه الأسد ، بيد أن له رأساً ، وأن له أجنحة كأجنحة الطيور ورءوسها

تلك العربة كانت تحمل بياتريشي جاءت تستقبله لتكون دليله فى جنبات الفردوس المحرمة على فرجيل أن يلج بابها . وقد افتن شاعر الطليان فى وصف بياتريشي وعربتها ، وما احتف بها من راقصات ، ومن سحائب الزهور افتناناً جعل ذلك الوصف فى طليعة كوميديته ابداعاً وفتنة . وكذلك نرى فى رسالة الغفران وصف الطريق الى الفردوس ، وامتداح رضوان وزفر ، ودعابة الجارية على الصراط ناحية جد مخصبة من خيال أبي العلاء ومن ابداعه

ذلك هو طريق الفردوس ، وها هو ذا وصفه فى الروايتين ، فأما الفردوس وطبقاته وأقسامه وما تخيله المعرى من حيات يسبحن فى الخلد فوق كثبان العنبر . وقد كان منهن فى الدار العاجلة من تسكن فى جحر بدار حمزة بن حبيب امام القراء . ونقمت عليه قراءته واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام (بخفض الأرحام) بعد أن كانت تسكن من قبل فى دار الحسن البصرى . ثم تحولت عنه لأنها رغبت عن بعض حروف فى قراءته حين يقرأ الأنجيل . وفالق الأصباح (بفتح الهمزة فيهما) . فأما الحديث عن تلك الحيات والرد على المعرى فى تخطئته حمزة فموعدنا به العدد القادم ؟

« يتبع » محمود احمد النشوى

(١) القرقوف : الدرهم

شركة مصر للغزل والنسيج

المحلة الكبرى منشستر مصر

لمندوب الرســـالة

لا يتم استقلال سياسى صحيح لأمة من الأمم مالم تستقل استقلالاً اقتصاديا أولاً . تلك حقيقة لا يختلف في صحتها اثنان . والاقتصاد فى كل الأمم هو العمود الفقرى لحياتها ، والمقياس لعظمتها وتقدمها ، حتى أضحى شغل العقول المفكرة التى تخلص لأوطانها ، وتعمل لرقيها باخلاصها وإيمانها

ولقد ظلت مصر ردحاً من الزمن تضع السياسة فى المنزلة الأولى من تفكيرها ، وفى غمرات ذلك الاضطراب السياسى ساءت الأحوال المالية فيها ، وامتدت الأيدى الى المصارف الأجنبية التى استغلت الفرص أحسن استغلال ، وأخذت تضيق على من يقع فى حبائلها الخناق ، حتى ضج الناس وغمرهم الذهول . هنالك تفتحت الأذهان ، وحدقت العيون الى نصير منهم يأخذ بأيديهم ويهديهم صراطاً اقتصاديا مستقيما . عندئذ قام ذلك الوطني المخلص «طلعت حرب باشا» ووضع هو وصحبه الأكرمون ذلك الصرح الوطني الشامخ ، فخر مصر وعنوان مجدها الاقتصادى ، ووجه ذهنه الخصب ، وعقله الجبار ، لانجاح ذلك العمل القومى العظيم ، حتى صافح الفوز وتجاوز حد الثقة وأصاب مشاكلة الغرض

وبعد أن وصل ذلك المشروع الى الحد الذى يحسد عليه ضاق على جسامته وخطورته بنشاطهم وبنتاج هممهم فأخذوا ينشئون الشركة تلو الشركة ، والمصنع تلو المصنع ، ومن بين هذه المشروعات الجليلة التى قام بنك مصر بتأسيسها « شركة مصر للغزل والنسيج » التى أقيمت فى المحلة الكبرى

نما غرسها منذ سنوات ثلاث ، وأخذت أغصانها تزداد قوة وامتدادا ، وتؤتى أكلها جنياً شهياً ، كلما زادت الأمة فى الاقبال عليها وتشجيعها ، وأبواها بنك مصر و« طلعت حرب » يتعهدانها ويؤازرانها بادخال كل مستحدث من الآلات ، وكل جديد من الفن ، حتى كان آخر ذلك هذا التوسع الكبير الذى يجرى اليوم فيها على قدم وساق ، والذى شاء لنا حسن التوفيق أن نشهده تلبية لدعوة وجهها الينا رجال الشركة

كان يوم الخميس الماضى يوماً حافلاً حقاً ، فقد شهدنا فيه بأعيننا صرحاً من صروح قوميتنا العزيزة ، وغرساً من غراس تلك الأيدى العاملة الكريمة

كان فى انتظارنا رتل من السيارات أمام دار بنك مصر أقلتنا الى المحلة الكبرى ، فلما دخلنا المدينة وبلغنا مقر دار الشركة كان فى استقبالنا رهط من موظفيها الكرام على رأسهم مدير الشركة العام الدكتور محمد عبد اللطيف محرم ، فطافوا بنا أقسام المصنع يشرحون لنا مختلف آلاته ومتنوع غاياته

تبلغ مساحة الأرض التى شيدت عليها مصانع الشركة مائة فدان ، وقد بنيت كلها على أحدث النظم الصحية وجميع العمال والمديرين والمهندسين من المصريين إلا اثنين من الأوربيين دعت الضرورة القصوى الى استخدامهما

وقد افتتحت مصانع الشركة لأول مرة فى ٢٣ ابريل سنة ١٩٣١ وعدد أنوالها ٤٤٨ فزيدت فى عام ١٩٣٢ الى ١٢٠٠ ولن يأتى العام القادم حتى تبلغ ٤٠٠٠ ، أما المغازل فكان عددها ٢٠٠٠ مغزل فى عام ١٩٣٢ فزادحتى بلغ الآن ٥٠٠٠٠ مغزل وسيزداد انشاء الله باطراد كل عام

وكان عمل الشركة فى بادىء الأمر قاصراً على غزل القطن ونسجه ، ولكن ماوافى عام ١٩٣٣ حتى أدخلت فيها صناعة غزل ونسج الكتان ، وفى عامنا هذا انشئت مصانع لغزل الدوبارة والفانلات والجوارب وبكر الخيط وغيرها ، ويعدون العدة منذ الآن لكى يقوم مصنع الصوف فى عام ١٩٣٦ بصنع البدل الصوفية ولوازمها من الصوف كذلك

وإن الذى يزيد فى سرور كل مصرى وابتهاجه أن يعلم أن عمال الشركة الآن يبلغون ٦٠٠٠ عامل سيزداد عددهم بعد عامين على الأكثر الى ١٨٠٠٠ عامل ، ولحرص الشركة على أن يكون كل شيء مصرياً انشأت مصنعاً كبيراً لصنع ما تحتاج اليه من الآلات ، ولكى لاتضطر إلى استخدام أجانب فيه أوفدت عدة بعثات إلى أوربا من خريجى المدارس الصناعية . وتخرج الشركة الآن أنواعاً عديدة من الأقمشة معروفة فى سائر الأسواق : منها (التيل الكاكى) و (فولار) و (دبلان) و (تيل المراتب) و (زفير) و (سكروته) و (فوط للوجه) و (بشاكير) الى غيرها مما لا يتسع المقام لذكره

هذا قليل من كثير مما قام به بنك مصر من جسيم المشروعات التى سار بها من نجاح الى نجاح بفضل اخلاص اولئك المجاهدين القائمين على أمره ، وبفضل الأمة المقبلة على تعضيده وشد أزره .

٧ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

الشيخ أحمد أبو الفرج الدمنهوري

أحمد أبو الفرج الدمنهوري الشاعر الأديب، ظريف الجملة والتفصيل، حلو النادرة والفكاهة، انجذبت اليه النفوس وألفته القلوب على دمامته وغرابة شكله. ولد بدمنهور ونشأ بها في ضنك وحرقة حال، ولم يكن مشتغلاً بالأدب في أول أمره، ثم لازم الشيخ محمداً الوكيل القباني أحد أدباء دمنهور المشهورين وعليه تخرج في النظم، وصحب أيضاً الشيخ حميده الدفراوى، وهو أديب لكنه لايبلغ درجة الوكيل، ولم يحضر المترجم العلم على شيخ، بل كان يلازم مجلس الوكيل ولا يفارقه ليلاً ولا نهاراً فيكتب عنه كل مايسمعه من شعر ونثر ونادرة ثم يستظهره، أخبرني ثقة أنه اجتمع بدمنهور حوالى سنة ١٢٨٥ فرآه شاباً نيف على العشرين مخفوض الجانب كثير التواضع لايستنكف من خدمة الوكيل المذكور وحمل المصباح أمامه إذا سار ليلاً.

ثم نظر المترجم في كتب الأدب ودواوين الفحول وبدأ ينظم الشعر فكان يعبث بالبيت والبيتين، ثم نظم بعد ذلك القصائد والمقطعات، إلا أنه كان قليل الاجادة كثير الخطأ واللحن، يتكلف التجنيس والتورية، وأحسن شعره مانظمه في المجون وضمنه ألفاظ العيارين والشطار. وكان حضوره إلى القاهرة بصحبة الوكيل، فأوصله إلى السيد عبد الخالق بن وفا شيخ السادات الوفائية فأعجب بظرفه ومجونه، وكان ينزل عنده كلما حضر إلى القاهرة، وهي إذ ذاك غاصة بالأدباء والأعيان وفي الناس بقية، فكانوا يهشون له ويتهادونه إذا حضر، ويراسلونه إذا غاب، فحسنت حاله قليلاً بما كان يناله من هباتهم. ثم اتصل بشاهين باشا كنج في طندتا لما كان مفتشاً على الأقاليم سنة ١٢٩٣ فانتظم في حلبة ندمائه، واختص به وواساه وجعله طرفة مجلسه، وجمع له من أغنياء البلاد مبلغاً وافراً اشترى به عقاراً ورمم داره بدمنهور، واجتمع عند شاهين باشا بعبد الله افندى نديم الشهير وغيره من خاصة أهل الفضل والأدب، ثم نقل شاهين باشا إلى منصب آخر بالقاهرة فصار المترجم يتردد عليه ويقيم عنده الأيام والأشهر يجتمع في أثنائها بغيره من الكبراء وذوى الوجاهة فيهدى إليهم مدائحه ويتحفهم بطرائفه

وكان على قلة إجادته في شعره مفتوناً به مبالغاً في تقريظه وقت انشاده، يمزج ذلك بإشارات وحركات تستظرف منه، ولا يكاد يقر لأحد بالتقدم عليه في النظم، ولعمرى لاأرى عبارة تفي بوصفه ووصف حركاته عند الانشاد وقيامه وقعوده والتفاته واستدعائه الحاضرين إلى استماعه، فانه كان إذا أراد إنشاد قصيدة من نظمه بدأ أولاً بتقريظها ونبه الحاضرين إلى مواضع الاجادة منها، فاذا ألقوا إليه بسمعهم أنشد المطلع وسكت هنيهة كالمأخوذ من جودته، ثم التفت يمنة ويسرة مستطلعاً خبيئة رأيهم فيه، واستحلفهم بالله وبأنبيائه هل طرق آذانهم مثله في عمرهم، وهل تهيأ لشاعر قبله ما تهيأ له فيه من رشاقة المبنى وغرابة المعنى وتناسب الشطرين، ثم يمضي في البيتين والثلاثة ويعود إلى الصمت والتفكر، ويقول سبحان المانح! كم ترك الأول للآخر! وأمثال هذه الجمل التي اشتهرت عنه وصارت من لوازمه، ثم يمضي في الانشاد، فاذا مر بتجنيس أو تورية وثب من موضعه وتمايل طرباً، ثم نظر للحاضرين وقال لهم اسمعوا من الفتى العربي اللعوب، تف على المتنبي وسحقاً له، أين له السلاسة والسهولة؟ وهكذا حتى يتم القصيدة، فان رأى من السامعين استحساناً تمادى في غلوائه وأعجب وأطرب، وربما عارضه بعض من يحضره استجلاباً لطرائفه واستئناساً بمحاورته، فتصدر عنه النوادر ومحاسن الأجوبة الحاضرة. بلغني أنه حضر مرة مجلساً جمع لفيفاً من أهل الأدب فأنشدهم قصيدة من نظمه وبالغ في استحسانها كعادته، وأخذ يستطلع طلع آرائهم فيها، فانتبذ له صديقنا العالم الفاضل، والشاعر المجيد، الشيخ عبد الرحمن قراعة مداعباً، وقال له أخطأت في بيت منها فأدخلت حرفاً على حرف وهو مما لايجوزه النحاة، فاما أن تسقطه أو تأتينا بشاهد على صحة قولك، ووافقه الحاضرون ومالوا معه على المترجم، فنكس رأسه هنيهة، ثم نظر اليهم كالمتعجب وقال ياليت قومي يعلمون!

وكان كثير الاجتماع بشيخ أدباء العصر الشيخ أحمد أبي البقاء الزرقاني، فلا يخليه مرة من شعر له ينشده إياه، ويعرض للشيخ مايشغله عن الاستماع فيستلفته ويكثر من الالحاح عليه بترك ماهو

فيه والاصاخة اليه ويضايقه بذلك مضايقة شديدة ، ولكن لا يكاد الشيخ يعرض عنه حتى تصدر منه نادرة ينقلب لها المجلس ضحكاً ، فكان يقول فيه إن أبا الفرج عندى مشكلة من المشاكل لا أدرى أهو ثقيل أم ظريف .

وكان أول اجتماعى به فى مجلس أحد الأعيان وأنا شاب يافع متعلق بالأدب وأهله ، ولم أكن لقيته من قبل ، بل كنت أسمع به وأشتاق رؤيته فرأيت عجباً : رأيت شيخاً قصيراً دميم الوجه قد ذهبت احدى عينيه ، عليه جبة واسعة الأكمام وهو جالس فى زاوية من المكان يملى على شخص حسن الخط داليّة من الطويل منصوبة الروى جعلها تهنئة للخديو محمد توفيق باشا بقدومه من الاسكندرية ، فكان منه من الوقوف عند كل بيت والاعجاب به على ماتقدم ذكره ماينهى للالتفات اليه ، ثم مر ببيت قافيته لفظة (ومعـّضداً) فوثب من مكانه ونبه الحاضرين إلى أنها تورية باسم الخليفة المعتضد بالله فلم يوافقوه ، فأعرض عنهم وأقبل على الكاتب يشرح له حسن هذه التورية وأنها لم تتهيأ له إلا بعد إعمال الفكر والروية حتى أضجره ورمى الدرج من يده ، فغلبنى الضحك واستظرفته وقصدت محادثته ، فقلت لعل سيدى الأستاذ عارض بهذه القصيدة قصيدة أبى الطيب التى يقول فى مطلعها :

لكل امرئ من دهره ماتعودا
وعادة سيف الدولة الطعن فى العدا

فسكت ثم نظر الىّ شزراً ولم يزدنى على قوله : تـِفّ على المتنبى ، فاستغربت فى الضحك وسألت عنه بعض الحاضرين فخبرنى به فكدت أطير سروراً بلقائه ، وأقبلت عليه أمدح القصيدة وأذكر مواضع الاجادة فيها وأستعيدها منه ، فأبرقت أسرته وأقبل على أيما إقبال وأسمعني بعض مقطعات من شعره ، فقلت له : أما كان الأولى بهذه اللآلى أن تنظم فى سمط ؟ فقال نعم ياسيدى إنى مهتم بذلك وسيكون ديواناً مرقصاً ، وامتد بنا المجلس فرأيت منه مالو أردت إثباته برمته لطال بنا المقال . ثم فارقته وأنا أشوق الناس اليه ، وكأنى به أحد أبناء المنجمّ الذين ذكرهم الثعالبى فى اليتيمة وأورد فصولاً للصاحب بن عباد فى وصفهم .

ومن غريب أمر المترجم أنه كان يُستملح منه مايستثقل من غيره ، فقد رَوَوْا عن بشار أنه كان يصفر ويصفق ويتفل عند إنشاده وعن البحترى أنه كان يتقدم ويتأخر ويتلفت إعجاباً بشعره ، وقد عيبا بذلك وعد من سقطاتهما التى نعاها عليهما الناعون بخلاف المترجم .

ومن غرائبه أنه كان معجباً بكنيته وكثيراً ما كان يتدرج بها إلى الانتساب لمن تكنى بها من الفضلاء المتقدمين كأبى الفرج ابن الجوزى وأبى الفرج الاصبهانى صاحب الأغانى وغيرهما ، فلا يدع أحداً من المتكنين بها إلا وينتسب إليه ، تارة لهذا وتارة لذاك ، ثم ارتقى درجة فادعى الشرف ولاث على رأسه عمامة خضراء ، ووسع أكمامه وسعى حتى جعلوه نقيباً للأشراف بدمنهور . حدثنى صاحبنا الأديب الفاضل محمد شكرى أفندى المكى قال : لقيته مرة وكنت علمت بأمر تلك النسب وأردت مداعبته فقلت : ياأبا الفرج إن كنيتك تنبىء عن شرف عظيم فلعلك من نسل أبى الفرج بن الجوزى ، فقال نعم ياسيدى صدقت وأصابت فراستك ، ثم لقيته بعد ذلك بأيام وقد نسى مادار بيننا فأعدت عليه الحديث وقلت له إجادتك فى الشعر مع هذه الكنية تدلنى على أنك من نسل أبى الفرج الببغاء ، فقال أى نعم وهو الواقع اهـ . ولا خلاف فى أنه كان يعلم قصد محدثه فى أمر نسبه ، إلا أنه كان يخرجه مخرج الجد حتى مع أخص الناس به ويغضب ممن ينكر عليه فتستظرف منه .

وادعى مرة أنه نال نصيباً وافراً من اللغة بحيث أصبحت لا يشذ عنه شىء من مفرداتها ، وتمادى فى هذه الدعوى وتبجح بها فى المجالس ، وتصدر للاجابة عن كل سؤال فيها يطرح عليه فتوالت عليه الأسئلة وهو يجيب عليها خابطاً خبط عشواء لا يبالى بمن يحتج عليه بكتب اللغة . وصار الأدباء من أصحابه يرتجلون له ألفاظاً يسألونه عنها فيخترع لها معانى يجيب بها ، وربما أحال تخرصاً على كتب لغوية يعينها ، ونظم له بعضهم بيتاً كبيت الخنفشار وسأله عن معناه فى جمع كبير من الأدباء وهو :

وبخرنق الأقيال عائت فالتثت ... وركاء تعترض الأكام بشيظم

فقال نعم ! هذا بيت لعنترة ، ذكره له صاحب الأغانى وهو يصف به حمامة ، والخرنق شىء يشبه نسج العنكبوت وليس به ، يكون بين أغصان الأشجار ، فيقول إن هذه الحمامة عائت بين الأقيال ، أى

الأشجار الكبيرة فالتثت قدماها بالخرنق أى اشتبكت به ، وأما الشيظم ، وأراد أن يفسره فقطعته أصوات الضحك من جوانب المجلس .

وبالجملة فقد كان خفيف الروح محبّباً إلى القلوب أديباً ظريفاً حاضر الجواب حلو النادرة ، وكانت وفاته فجأة بدمنهور فى ثانى ليلة من شهر ربيع الثانى سنة ١٣١٠ بعد أن صلى العشاء ، وكان آخر قوله انا لله وإنا اليه راجعون ، فشقّ نعيه على من عرفه وشيع جنازته الألوف تغمّده الله برحمته .

الشيخ زين المرصفى

الشـــافعى

هو من طبقة الشيخ عبد الرحمن الشربيني والشيخ سليم البشرى ، إلا أن الشيخ سليماً أكبر منهما سناً ، حضر إلى الأزهر وقرأ على كبار الشيوخ به حتى برع وتأهل للتدريس ، ثم جعله الخديو اسماعيل معلماً للعربية لولده الأمير حسين كامل باشا سلطان مصر الآن (١) ، وبسبب مخالطته له ولمن حوله ألمّ ببعض اللغات ، وسافر مع الأمير إلى القسطنطينية وكانت أسواقها لم تزل آهلة بالكتب العربية فاقتنى هناك كتباً نفيسة غريبة عن أهل الأزهر ، فصار ينقل منها فى تآليفه نقولاً يُغرب بها عليهم . ثم استخدم بالمدارس وترقى إلى أن صار كبير المفتشين بها ، ولم يزل بهذا المنصب حتى توفاه الله يوم الأربعاء الخامس من جمادى الأولى سنة ١٣٠٠ ، فشيع جنازته لفيف من العلماء وجمع كبير من النـاس ، وأمر ناظر المعارف فسار فيها من كل مدرسة فريق من تلاميذها وأناب عنه نائباً حضرها ، ولما بلغوا به الجامع الأزهر للصلاة عليه وقف الشيخ حمزة فتح الله فأبّنه ورثاه بيتين من نظمه هما :

سقى الله من صوب الرضـا أعظماً هوى
بهـا ركن بيت العلم إذ دكه الحـــين

فـــلا غرو إن أضحت وجوه علومنـــا
مشوهـــة فاليـوم فارقهـــا زين

رحمه الله رحمة واسعة .

وفى مقدمة شرح أحمد بك الحسيني لكتاب الامّ للأمام الشافعى الذى سماه بمرشد الأنام لبرّ أمّ الأمام مانصه « زين المرصفى كان عالماً فاضلاً أخذ عن علماء وقته وجدّ واجتهد حتى صار من أكابر العلماء ، وكان ذهب مع الرسالة المصرية إلى بلاد فرنسا زمن الخديو اسماعيل باشا وكان يجيد اللغة الفرنساوية ، وله كتابات فى المنطق والحكمة وكانت وفاته سنة ١٣٠٠ » . انتهى

(١) كتبت هذه الترجمة طبعاً أيام ولاية المغفور له السلطان حسين كامل

شعراء الجاهلية

طرفة بن العبـــد

للأستاذ بشير الشريقي

مسكين طرفة ! لقد ثكلته آلهة الشعر والهوى والخمور باكراً غضاً نضير العود ، مسكين لم يتمتع بالشباب ؛ بل كان لا يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره حينما طوته المنون فى سجل العدم ودفنت معه عبقرية فياضة ، وذهنية جبارة ، وشاعرية قوية حارة . خمسة وعشرون حجة ، انها لحلم قصير ياطرفة . . ولكنه حلم لذيذ ، وحلم جـــدّ عجيب . أيها الشاعر الاغتنامى والشاب الفيلسوف المتهتك .

***

على رمال الصحراء الطليقة ولد طرفة ، ولكن متى ؟ هذا مالا يعلمه أحد ؛ كان والده من سادة « بكر وائل » ومن ذوى الشرف الرفيع والمقام المحمود فى قومه ، وسمع طرفة يفتخر بأصله :

لقد علم الأقوام أنا بنجوة ... علت شرفاً من أن تضام وتشتما
لنا هضبة لا يدخل الذل وسطها ... ويأوى اليها المستجير فيعصما

وتشاء الأقدار أن تسلب الشاعر والديه وهو لم يزل طفلاً فى المهد فينشأ المسكين كما نشأ الحطيئة والأخطل وبشار وأبو نواس وابن الرومى ، يتيما محروماً من كل عطف ورعاية ، لا يعرف سوى أعمامه الذين أهملوا تربيته وهضموا حقه .

لقد ثار طرفة فى شبابه على هؤلاء الذين نبذوه وظلموه وكانوا علة شقائه ، ثار على أعمامه وذوى قرباه ، وفى ساعة ذكرى ماض محروق مهان ، وطفولة نكدة محرومة ، تلهم عرائس الشعر هذا العبقرى الصغير أبياته الخالدة :

فمالى أرانى وابن عمى مالكاً ... متى أدن منه ينأ عنى ويبعد
يلوم ، وما أدرى علامَ يلومنى ... كما لامنى فى الحى قرط بن معبد
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

ولا أعلم كيف عاب بعض النقاد الادباء هجاء طرفة لقومه فى قوله :

أسلمنى قومى ولم يغضبوا ... لسوءة ، حلت بهم فادحـــة
وكلهم أروغ من ثعلب ... ما أشبه الليـــلة بالبارحة

وكيف رموه من أجل ذلك بكثرة الشر ولؤم الطبع ، ما كانوا محقين وما كانوا منصفين ، انهم لم يفطنوا الى أن الشاعر ما قال بيتيه إلا بعد أن لاقى من قومه كل احتقار وقسوة ؛ وكل ما من شأنه أن يجعل الشاعر يثور على البيئة التى نشأ فيها .

ثم هل تظن أن طرفة عني قومه فقط حينما قال : « كلهم أروغ من ثعلب » انا لا أظن ذلك بل أرجح أنه عنى الناس اجمعين ؛ وأنه كان سيىء الظن بالبشر شديد الحذر منهم ، اليس هو القائل فى ذم الأخــــلاء :

كل خليل كنت خاللته ... لا ترك الله له واضحـــه

***

ولد طرفة عبقرياً وشب عبقرياً ، فأسمعنا وهو فى زهرة العمر وفجر الشباب أناشيد الحياة والموت فأطربنا بانغامه إلى حين ، نعم الى حين ، فقد أخرس الزمن لهاته قبل أن يكمل الخامسة العشرين ربيعاً ؛ وكأن طرفة كان يشعر بمصيره ويعلم أن أيامه فى الحياة قصيرة ؛ فراح يسخر بمن يردعه عن اغتنام لذائذ الدنيا ويزجره عن الخمر والنساء واقتحام الهيجاء :

ألا أيهذا الزاجرى احضر الوغى ... وان أشهد اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لا تسطيع دفع منيتى ... فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

واعتقد طرفة أن « الكل باطـل » ورأى أن هنالك شيئاً واحداً ثابتاً ، هو أن الحياة تمضى ، وما عدا ذلك أباطيل :

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة ... وما تنقص الأيام والدهر ينفد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطِّوَل المرخى وثنياه باليد
لعمرك ما الأيام الا معـارة ... فما اسطعت من معروفها فتزود

وما دام طرفة يرى أن اسمه سيمحى من سجل الوجود وأن قبر البخيل النحام فى شرع الفناء كقبر الغوى الضال الذى قضى عمره فى الشرب واللعب :

أرى قبر نحام بخيل بماله ... كقبر غوى فى البطالة مفسد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشدد

ما دام يرى ذلك فقد صمم على أن يغتنم أويقات الحياة ويتمتع بكل ما تناله يده من لذائذ ومتع فعاش — وهذا طبيعى ممن مات ولم يبلغ الخامسة والعشرين من سنه — صريع الكأس والأعين النجل ؛ واهباً روحه للجمال وحسه للذة ، أما نفسه فظلت كبيرة

لم يذلها الهوى ولم يخضعها الحسن ، أبداً محترمة مهيبة طموحة إلى المجد :

اذا القوم قالوا « من فتى » ، خلت أننى
عُنيت ، فلم أكسل ولم أتبلد
فان تبغني فى حلقة القوم تلقنى
وان تقتنصني فى الحوانيت تصطد
متى تأتنى أصبحك كأساً روية
وإن كنت عنها غانياً ؛ فاغن وازدد
وان يلتق الحىُّ الجميع تلاقنى
الى ذروة البيت الشريف المصمد
نداماى بيض كالنجوم وقينة   تروح إلينا بين برد مجسد
ومازال تشرابى الخمور ولذتى   وبيعى وإنفاق طريفى ومتلدى
الى أن تحامتنى العشيرة كلها   وأفردت افراد البعير المعبد

شعر رقيق عبر به صاحبه فأحسن التعبير ، وطريقة واقعية مذهبها الاباحة والصراحة ، حقاً لقد خلق هذا الصغير طرفة شاعراً فياض القريحة ، انظر ، إنه مافكر فى غير نفسه ، ولااستمد إلا من حسه .

***

ربما دهشت اذا قلت لك إن هذا الشاعر الشاب الذى مات قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ، والذى عاش كما قال بشار :

عشت بين الندمان والراح والمز
هر فى ظل مجلس حسن

قد امتاز أيضاً بما نظم من الحكم البالغة والأمثلة السائرة ، لاتعجب ، إن طرفة لم يكن مخلوقاً عادياً ، بل كان عبقريا ملهماً ، نظر بعين بصيرته الى الحياة نظر الشيخ المجرب ، فحدثنا عن الوجود والعدم حديث العارف الحكيم ، وعالج لنا خلال السنوات القليلة التى عاشها كثيراً من مسائل الحياة واحوال المجتمع وخوالج النفس

قال يطلب الغيث لديار حبيبته :

فسقى ديارك غير مفسدها   صوب الربيع وديمة تهمى

شعر جزل فصيح ، طلب الغيث على قدر الحاجة ، لأن الفاضل ضار ، وقد قال محمد (ص) « اللهم اسقنا سقياً نافعاً »

أنا وأنت وكل الناس نتمثل بقول هذا الشاب :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالقارن يقتدى

واسمع إنه يحدثك عن الخير والشر :

الخير أبقى وان طال الزمان به   والشر أخبث ماأوعيت من زاد

وتأمل قوله وهو فى السجن — يخاطب قاتله [1] عمرو بن هند

أبا منذر كانت غروراً صحيفتى
ولم أعطكم بالطوع مالى ولاعرضى
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض

ألا تشعر معى أن فى قوله « أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا » نقاء وحرارة ، وليناً وروعة واستعطافاً ، وان قوله « بعض الشر أهون من بعض » آية يتمثل بها .

وذكروا أن من حكمه التى حملت فحول الشعراء كلبيد وجرير والاخطل على الاعتراف بفضله وتقدمه قوله :

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلاً   ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ويروى عن عائشة رضى الله عنها قولها : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا استراب الخبر يتمثل بقول طرفة « ويأتيك بالاخبار من لم تزود » وكان ابن عباس يقول عن هذا البيت « انه كلام نبى » .

النبى محمد يتمثل بقول طرفة . !

وابن عباس يقول إن كلامه كلام نبى .

وأبو العلاء المعرى يقول فى رسالة الغفران « .. لو لم يكن لطرفة أثر إلا قصيدته التى على الدال لكان قد أبقى أثراً حسناً » .

أما قصيدة طرفة التى على الدال فهى معلقته ، اسمع مطلعها الرائع :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد
وقوفاً بها صحبى على مطيّهم   يقولون لاتهلك أسى وتجلد

ونظر طرفة الى الحياة ، الى المستقبل ، بعين فيلسوف حكيم ، بعين شيخ مجرب بصير بعواقب الأمور فقال :

قد يبعث الأمر العظيم صغيره   حتى تظل له الدماء تصبّب

رحم الله طرفة شاعر الشباب والجمال والحكمة .

شرق الاردن

بشير الشريقى
المحامى

(١) يذكر الرواة أن طرفة اتصل بالملك عمرو بن هند فجعله فى ندمائه ، ثم أرسله بكتاب الى المكعبر ، عامله على البحرين وعمان — يأمره فيه بقتله لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها فقتله المكعبر حوالى سنة ٦٠ ق . هـ

من طرائف الشعر

البلبل المسحور

لشاعر الشباب السوري أنور العطار

أَلْهَمَتْنِي الشِّعْرَ وَأَنْغَامَهُ وَحَسْرَةَ الذِّكْرَى وَشَجْوَ الْهَوَى
وَحَيْرَةً صَاحِبُهَا ذَاهِلٌ مُرَوَّعٌ يُضْنِيهِ فَرْطُ الْأَسَى
نَادَتْكِ رُوحِي فِي دُجَى صَمْتِهَا مَمْرُورَةً غَلْغَلَ فِيهَا الْجَوَى
وَاسْمُكِ حَوَّامٌ يُنَاغِي فَمِي قَلْبِي طَوَاهُ وَلِسَانِي رَوَى
وَطَيْفُكِ الرَّفَّافُ فِي خَاطِرِي يُنَضِّرُ الْمَاضِي وَيُحْيِي الْمُنَى

* * *

آمَنْتُ بِالْحُلْمِ فَكَمْ مَأْمَلٍ مُسْتَبْعَدٍ أَدْنَتْ خُطَاهُ الرُّؤَى
وَعَالَمٍ ضَلَّلَنِي لُغْزُهُ مَدَّ عَلَيْهِ جُنْحَهُ فَانْجَلَى

* * *

يُطْمِعُنِي فِي عُزْلَتِي أَنَّنِي أَرَى بِسِتْرِ الْغَيْبِ مَا لَا يُرَى
أَعِي حَدِيثاً حَافِلاً بِالرِّضَا يُهَدْهِدُ الْقَلْبَ إِذَا مَا وَعَى
وَتَسْكُنُ النَّفْسُ إِلَى نَغْمَةٍ هَابِطَةٍ مِنْ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى
كَمْ صُغْتُ أَشْعَارِيَ مِنْ وَحْيِهَا وَكَمْ تَغَنَّيْتُ بِهَا فِي الدُّجَى
قُلْتُ لِنَفْسِي فِي سُجُوِّ الرُّؤَى لَمْ آتِ دُنْيَايَ لَعَمْرِي سُدَى
لَئِنْ شَجَانِي أَنَّنِي مَيِّتٌ لَقَدْ نَفَى شَجْوِيَ أَنِّي صَدَى
كَتَبْتُ رُوحِي قِصَّةً لَذَّةً وَصُغْتُ قَلْبِي نَغَماً يُشْتَهَى
لَيْسَ يَنَالُ التُّرْبُ مِنْ مُهْجَتِي وَلَا يُذِيبُ اللَّحْنَ مِنْهَا الْبِلَى
طَوَّفَتِ الْأَفْلَاكَ فِي سَبْحِهَا كَأَنَّهَا مَا حَفَلَتْ بِالرَّدَى
أَتْرَعَتِ الدُّنْيَا شَذاً بَاقِياً وَغَلْغَلَتْ طَيَّ الرِّحَابِ الْعُلَى

* * *

أَعَاضَنِي مِنْ فَرْحَتِي حَسْرَةً مَنْ بَدَّلَ الضِّحْكَ بِمُرِّ الْبُكَا
مَرَرْتُ فِي دُنْيَايَ مُسْتَعْجِلاً كَأَنَّنِي فِي الْغُمْضِ طَيْفٌ سَرَى
تُزَيِّنُ الْأَحْزَانَ لِي عِيشَتِي وَتَرْسُمُ الشَّكَّ وَتَمْحُو الْهُدَى
يَئِسْتُ مِنْ صَحْوِي وَمِنْ غَفْلَتِي كِلَاهُمَا بَعْضُ خَيَالِ الْكَرَى
أَسْلُو، وَمَا سَلْوَايَ إِلَّا الْبُكَا أَحْيَا، وَمَا عَيْشِي إِلَّا الشَّجَا
ضَاعَتْ أَمَانِيَّ وَلَمْ يَبْقَ لِي فِي عُمُرِي مِنْ أَمَلٍ يُرْتَجَى
وَلَمْ يَعُدْ لِي مَطْمَحٌ مُشْرِقٌ إِلَّا انْتِحَاهُ الْمَوْتُ نَضْرَ الصِّبَا
أَمْسِ صِبَايَ الْغَضُّ وَدَّعْتُهُ وَغَابَ عَنِّي فِي سَحِيقِ الْهُوَى
وَذَا شَبَابِي الْيَوْمَ مُسْتَرْجَعٌ يَمْشِي إِلَى الْمَوْتِ حَثِيثَ الْخُطَى
وَقَلْبِيَ الْمَوْجُوعُ مَا يَأْتَلِي يُمْعِنُ فِي النَّوْحِ إِذَا مَا اشْتَكَى
حَنَّتْ إِلَى الْمَاضِي جِرَاحَاتُهُ وَجُرْحُهُ قُدِّسَ لَمَّا مَضَى

* * *

آهاً عَلَى نُعْمَى تَخَيَّلْتُهَا مَا جَزِعَتْ أَنْ هَدَّمَتْنِي ضَنَى
تَعْتَادُنِي الْأَشْجَانُ فِي وَحْدَةٍ لَا فَرَحٌ يُسْعِدُهَا أَوْ سَنَا
دَاجِيَةٍ نَكْرَاءَ طَفَّاحَةٍ بِالسُّهْدِ وَالْبَلْوَى وَبَرْحِ الْأَذَى
الْعَدَمُ الرَّاعِبُ فِيهَا لَقًى تَحْسِرُ عَنْ أَسْرَارِهِ مَا اخْتَفَى
وَالْوَهْمُ مَلْمُوسٌ بِهَا بَيِّنٌ وَالْغَيْبُ فِيهَا مَاثِلٌ يُجْتَلَى

* * *

بُلْبُلُكِ الْمَسْحُورُ يَا فِتْنَتِي مَاتَ، وَعُشُّ الْحُبِّ مِنْهُ خَلَا
الْوَرْدُ قَدْ جَفَّ عَلَى قَبْرِهِ وَالنَّغَمُ الْمِطْرَابُ فِيهِ ثَوَى
فَأَرْهِفِي أُذْنَكِ تَسَمَّعِي إِنْشَادَهُ مِنْ جَوْفِ هَذَا الثَّرَى

* * *

. . . .

يَا طَيْفَهَا قَاسِمْنِي وَحْشَتِي وَظَلْتَ فِي قُرْبِي بِرَغْمِ النَّوَى
عِشْ فِي فُؤَادِي بُلْبُلاً نَاغِماً وَابْقَ أَنِيساً لِيَ طُولَ الْمَدَى
أَسْمِعْنِيَ الْأَلْحَانَ عُلْوِيَّةً وَأَنْسِنِي الدُّنْيَا وَهَذَا الْوَرَى
وَطُفْ بِرُوحِي عَالَماً سَامِياً عَاشَ بِهِ الْحُبُّ وَمَاتَ الْقِلَى
تَعْتَنِقُ الْأَمْلَاكُ فِي سَاحِهِ وَيُسْعِدُ الْمُشْتَاقَ فِيهِ اللِّقَا

دمشق — أنور العطار

من الأدب الهندي

عود الى محمد اقبال

للدكتور عبد الوهاب عزام

كتبت فى الرسالة عام أول طرفاً من أخبار شاعر الهند العظيم ، وفيلسوف الاسلام النابغة الدكتور محمد إقبال ، وترجمت نبذاً من ديوانه « بيام مشرق » . ولاقبال كتاب اسمه « أسرار خودى » ، وهو كتاب منظوم شرح فيه « أسرار خودى » أى أسرار الذاتية ، فبين بأسلوب شعرى رائق أن حياة الانسان والأمة فى تقوية النفس ، واستخراج كل مافيها من قوى ومواهب ، وأن الهلاك أن يغفل الانسان عن فطرته ، ويردد آراء الناس ، ويحاكى أعمالهم . الخ

ولاقبال كتاب آخر اسمه « رموز بيخودى » أى رموز اللاذاتية ، يبين فيه كيف يؤلف الانسان نفسه القوية فى الجماعة ساعياً الى المقاصد العامة . والكتابان منظومان فى بحر الرمل على القافية المزدوجة .

وسيرى القارىء فى هذا المقال وما يليه نبذاً من الكتابين ، على أن قارىء هذه الترجمة العربية المنثورة يفوته كثير مما يحس به قارىء شعر إقبال فى لغته .

وفيما يلى قطعة من أسرار خودى :

« قصة شاب من مرو ذهب الى السيد المعظم على الهجويرى (١) فشكا اليه حيف أعدائه عليه » :

سيد هجويرى قبلة الأمم الذى صار مرقده حرماً فى پيرسنجر ، جاب الأقطار ، وقطع سلاسل الجبال ، وبذر فى أرض الهنود بذور السجود ؛ تجدد عهد الفاروق بجماله ، ورفع صوت الحق بجداله ؛ عزّت « أم الكتاب » بحماسته ، وخربت دار الباطل بنظرته ، وحييت أرض البنجاب بأنفاسه ، وتلألأ صبحنا بشمسه ، عاشق وهو رسول للعشق سيار ، تتجلى من جبينه للعشق أسرار .

(١) أحد كبار الصوفية فى القرن الخامس الهجرى ؛ طوف فى الأقطار الاسلامية ثم استقر فى لاهور حيث مات سنة ٤٦٥ . وله مؤلفات فى التصوف أشهرها « كشف المحجوب »

أقص عليك من أنبائه عبرة ، فأطوى بستاناً فى زهرة :

ورد لاهور شاب من أهل مرو مرير القوى ، فأمّ حضرة السيد الرفيع ليقشع بشمسه ظلمات نفسه .

قال : ياسيدى أحاط بى الأعداء الفجار ، فأنا منهم كزجاجة بين أحجار ؛ فعلمني ياذا السنا والسناء ، كيف العيش بين هؤلاء الأعداء .

قال المرشد العليم الذى ائتلف فى نفسه الجمال والجلال :

يا جاهلاً بأسرار الحياة ، وغافلاً عن مبدئها ومنتهاها ؛ افرغ من همّ غيرك ، وأيقظ القوة النائمة فى نفسك . إن الحجر الذى يتوهم نفسه زجاجة بين الأحجار ، ينقلب زجاجة غايتها الانكسار . ومتى ظن المسافر الضعف بنفسه ، فقد أسلم لقاطع الطريق روحه . حتّامَ تعدّ نفسك طيناً وماء ؟ أخرج من طينتك شعلة الطور ناراً وضياء . ما ذا التكبر على الأصدقاء ، وما هذه الشكاة من الأعداء ؟ لاريب أن عدوك صديقك ، وأن وجوده رونق حياتك . كل من وعى مقامات الذاتية يحمد الله كلما ألفى عدوه فى قوة . العدو من الانسان كالسحاب من الأرض ، يغشاها ، فيوقظ من سباتها قواها . وإن حجر الطريق ليسيل كالماء ، أمام الهمة القعساء . وماالسهل والحزن أمام السيل المنهمر ، عقبة الطريق مِسنّ لسيف العزم ، وقطع المراحل اختبار لهذا السيف ، ما العيش فى أكل ودعة كالحيوان الأعجم ؟ وما غناء الحياة وأنت فى نفسك غير محكم ؟ حصّن نفسك بالذاتية يسخّر لك العالم كله . تجرد من نفسك إن ترد الفناء ، واعتصم بنفسك إن تبغ البقاء . هل الموت إلا غفلة عن الذاتية ؟ وهل افتراق الروح والجسم إلا هذه المنية ؟ اتخذ من نفسك مستقراً لتنجو من الهلك ؛ ثم امض قُدُماً ـ كيوسف ـ من الاسار الى الملك . تفكر فى الذاتية وكن رجل الجلاد السباق الى الغايات ، كن رجل الحق الملىء بالآيات . هأنذا أشرح بالقصص الأسرار ، وأفتح بالنفحات أكمام الأزهار . « خير أن يأتى سر الأحباب حديثاً فى قصص الآخرين » (١)

« قصة الطائر الذى أنهكه العطش »

بلغ العطش من طائر جهده ، فاضطرب نفسه موجة من الدخان فى صدره ، فأبصر فى بستان شذرة من الماس الوضاء ، فخيل اليه العطش أنها ماء . وخدعت الطائر المجهود هذه الشذرة المتلألئة

(١) هذا البيت مقتبس من مولانا جلال الدين

كالشمس ، فتوهم الحجر الصلب ماء سائلا ، وغره من هذا الجوهر بريقه فضرب بمنقاره فلم تنقع غلته . قالت الماسة : أيها الطائر المسحور ! لشدّ ما ضربت بمنقار الغرور ؛ لست قطرة من الماء ، ولا شربة للظماء ، ليست حياتى من أجل غيرى . إن محاولة التقاطى جنون وغرور ، وغفلة عن الحياة الذاتية الطهور ، إن مائى يكسر من الطير منقاره ، ويصدع من الانسان جوهر روحه .

خاب أمل الطائر فأعرض عن هذه الشذرة الوضاءة ، وانقلب الأمل فى صدره حسرات ، واستحالت أنيناً هذه النغمات . ثم بصر بقطرة من الطل على فنن من الورد ، تتلألأ كدمعة فى عين البلبل(١) ، ضياؤها استغراق فى حمو الشمس ، وهى من جوف الشمس فى رعدة . كوكب خفاق ولدته السماء ، فلبث لمحة فى نشوة الظهور والضياء ؛ وخدعته ألوان الأكمام والأزهار ، فلم يأخذ من الحياة نصيباً ، كدمعة العاشق العليل ، زانت الهدب لتسيل .

ويسرع الطائر الى فنن الورد فيلتقط قطرة الندى .

أيها المبتغى نجاة من الأعداء ! خبّرنى أجوهر أنت أم قطرة من ماء ؟ ألم تر الى الطائر حين أذاب العطش مهجته كيف وقى بحياة غيره حياته ؟ لم تكن القطرة فى صلابة الجوهر ، ولكن كانت الماسة صلبة المكسر . فلا تغفل عن حفظ الذاتية لمحة ، وكن قطعة ماس لا قطرة . كن ناضج الفطرة راسخاً كالجبال ، وتحمّل بحاراً من السحاب الهطال . وجدْ نفسك بقوى نفسك ، واستحل فضته بجمود زئبقك . أظهر نغمة الذاتية من أوتارها ، وتجلّ للناس بأسرارها .

« قصة الماس والفحم »

وهذا حديث آخر يفتح لك من الحقيقة بابا :

قال الفحم للماس وهما فى المعدن : يامن أودعت هذا التجلى الأبدى ! نحن رفيقان ، وفى المنشأ صنوان ، وهأنذا أموت فى معدنى ذلة ، وأنت تعلو تيجان الملوك عزّة ، وقدرى من سوء الجبلّة دون الحصاة ، وجمالك يصدع قلب المرآة . يضىء بظلمتى المجمر الوقاد ، فاذا غاية جوهرى هذا الرماد . منزلتى من الناس مواطئ الأقدام ، وغايتى أن أكون طعام النيران . إنها لحياة جديرة بالبكاء ، فما وجودى إلا هباء ؛ موجة من الدخان مركومة ، وأما أنت فكالنجم وجهك وسيمتك تفيض بالنور كل جوانبك . فأنت حيناً قرة عين قيصر ، وأخرى حلية فى مقبض الخنجر .

قال الماس : أيها الرفيق البصير إن التراب الأغبر اذا نضج فهو جوهر ، وأنا ما زلت أجالد ما حولى حتى أنضج الجلاد نفسى ، فانقلبت صلباً كالحجر ، مضيئاً كالنجم ، وامتلأ صدرى بهذه التجليات . وأنت من حياتك النيئة ذليل ، محترق من رخاوة بدنك العليل ، فرّغ من الخوف والغم فؤادك ، وانضج كالصخر وكن ماساً بجهادك . فكل من جاهد فى الحياة صبوراً ، يملأ العالمين نوراً . إن الحجر الأسود كان تراباً بالتكريم غير خليق ، فصار حلية فى صدر البيت العتيق ، فاق الطور رفعة وصعّد ، حتى صار مقبل الأحمر والأسود .

إن فى الصلابة ماء الحياة وسر البقاء ، وإن فى النيوءة الهوان والضعف والفناء .

عبد الوهاب عزام



(١) البلبل فى الشعر الفارسى عاشق هائم بالورد

بين الشك والإيمان

الشاعر الايطالى «ليوپاردى»

« Léopardi »

١٧٩٨ — ١٨٣٧

للأستاذ خليل هنداوى

« أيتها الشريعة الجميلة ! أنت ستعيشين طويلا معصومة من كل خطأ ، واذا هاجمنا الضلال نعوج اليك ونجد الحقيقة تحت ردائك ، ويدك وحدها تقودنا الى شاطىء السلام »
« ليوپاردى »

— ١ —

فى نفس « ليوپاردى » سكن الألم الممض والشك العنيف متجاورين . فجعلا منه — فى العمر الذى يبسم فيه كل شيء — شاعراً يحمل للناس مقاطع الأحزان ، ونفاثات الأشجان .

قضى أيامه الأولى يساوره الداء من ناحية ، والدرس والاعتزال ينهكان قواه من ناحية ثانية ، على أن الدرس برغم متاعبه كان ينفخ فيه روح النشاط فيهب ، ويحيي أهواءه النائمة فتحيا .

كان لوالده الكونت (مونالدو) شغف بالأدب ، يعوج الى مجالسه وندواته ، وقد بعثه شغفه هذا على أن يغرس فى ولده هذه الروح ، وأن يسهل له ادراكه . فكان أدبه الأول أدب إيمان وتقوى ، يتعصب لهذا الأدب ، ويحله من صدره أسمى مكان ، ويحسب من لايؤمن به جاهلاً ، وهو القائل فى ساعات شكه وجموده « ايتها الشريعة ، انك ستعيشين طويلاً معصومة من كل خطأ ، واذا هاجمنا الضلال نعوج اليك ، ونجد الحقيقة تحت ردائك ، ويفر الضلال فرار الذئب من الراعى ، ويدك وحدها تقودنا إلى السلام »

— ٢ —

كان الدافع الأول الى شك « ليوپاردى » هو سأمه من كل شيء فى بلده ، قال فى إحدى رسائله [لا تحدثونى عن «ريكاناتى» انني سأحب وطني عند ما أغدو بعيداً عنه ، ماذا فى ريكاناتى ؟ هل تنظرون ما أستطيع صنعه هنا ؟ فالكل يجهلونني ، وأنا مؤثر الحياة فى هذا الموطن الذى لاتعرفونه بدون معجم جغرافى ، مستخف بكل شيء . الآن صنع الآله الوجود جميلاً ، والناس يصفون العظائم فى كل الأنحاء ، وهنالك كثيرون من الرجال يعدون بلهاء لأنهم جربوا أن يروا وأن يعرفوا ! الأرض ملأى بالعجائب]

وهكذا قضى أيامه الأولى مغترباً عن أبيه الذى دعاه مراراً وتكراراً الى العودة ، وهو يأبى ويصر على البعد اصراراً . كتب له أبوه ، « وما هى الحاجة الماسة التى تدعوك إلى هجرة دارك وأهلك إلى دار لا تتمتع فيها بمثل عطفى ورضاى ؟ » ولكن ليوپاردى كان يهمل كثيراً هذه الأسئلة ، واذا أجاب أجاب بنفس ناقمة غاضبة ثائرة ، وكتب إلى أحد أصدقائه « لأسهل عليك أن تحرك الجبل من أن تدفعه (والده) الى صنع شيء من أجلى » ثم يقول : « على أنني اخترت هذه المرحلة ؛ فلا آخذ منه شيئاً ، ولا أطلب شيئاً » وهكذا يغلب الكبرياء على ليوپاردى ويصبح شقاؤه شقاء جباراً .

أوى ليوپاردى إلى الدرس يجد فيه لذته النفسية ، ولكن هل كان الدرس كله راحته من عنائه ، وهناءه فى شقائه ؟ كتب فى أحد كتبه يعبر عما يجد فى ساعة الدرس :

[إن سبب تعسى هو عقلى ، انني أظن أنكم تعرفون ، ولكني أثق بأنكم تجهلون كيف يقتل العقل صاحبه الذى يحاول أن يفكر على غير ما يفكر به الآخرون ، عند ما لا يكون لهذا الصاحب من لهو غير لهو الدرس . . أما العقل فقد أعطانى ويعطينى أمثال هؤلاء الشهداء ، وبهذا وحده يفرض سلطته على ويكون سبب أذاتى . وسوف يقتلنى اذا لم أبدل خطتى ! ألا إن العزلة ما خلقت لمن يحترقون بأنفاسهم ويذوبون بأنفسهم]

بلى ! ما كان أصدق ليوپاردى فى كلمته الأخيرة ! لأنه كان معبراً عن حالة نفسية هى فيه . فقد تسرب اليه الداء حتى أنهك قواه فشح ناظراه وساءت صحته وركبته العلة إثر العلة . ووقر على

ظهره عبث الحياة فقال [إنني ناضج للموت] . ولكن الموت كان يرى هذه الثمرة غير ناضجة ، فتركها عشرين عاماً تنضج خلالها وتحمل من آلام الحياة ماينوء بالجبابرة حمله ، تائهاً ضالاً فى مسارب الشك ، مستجلياً الحقيقة كما استجلاها من قبله ، طالباً ما تعده من وصل ، ووعدها بالوصل علالة .

أما نظرته الحادة وصوته الرنان وتألق نفسه وكل تلك الملامح القوية التى مثلها — سانت بوف — قد تغيرت فى أخريات أيامه وانما غيرها وقر الهم لا وقر الهرم ، واذا بليوپاردى كما يصفه (رانيرى) صديقه الوفى « ذو قامة مقوسة ، ولون أبيض مشرب بصفرة ، وجبهة مربعة عريضة ، وعينين زرقاوين ذابلتين ، وأنف دقيق ، ولهجة مبهمة جافة ، وبسمة ترافقها العذوبة والشقاء »

وهو يكتب عن نفسه :

[وأخيراً أتعبتنى تلك الأعوام التى قضيتها فى الدرس وأودت بجسدى ، حتى لايرجى لى شفاء غير الموت . وهكذا حطمت رجائى لأفهم أن الطرب لايلائم قلبى . واذ ذاك وجب على أن أرتدى ثياب الحداد وأن أتخذ التشاؤم رفيقاً لى لايمكن فصله عنى إلى الأبد ، نظرتُ فألفيت أن حياتى لايمكن أن تكون إلا تعسة ، ولكن هذا لم يعشنى على اليأس ، فحبذا لو أن قواى تحملها بدون خوف وتحولها إلى شىء مفيد بعض الشىء]

وهكذا نستطيع أن ندرك أن أهم العوامل التى تألبت على هذا القلب فبدلت ايمانه شكاً معذباً إنما هى عوامل جسدية ونفسية تضافرت على نضاله ، وما فتئت تلح عليه وتنال منه ، حتى تركته لا يهديه الا شك ، ولا يقنعه الا جحود .

— ٣ —

فى هذه العزلة الموحشة التى اختارها لنفسه ارتبط مع الأديب الايطالى (پيانرو جيورداني) بصلات مودة متينة ، وكان نجم هذا الأديب متألقاً فى سماء بلاده ، وهو ممن طرح القديم وأعلن شكه فيه ، وراقت له المذاهب الجديدة فأخذ بها ، فتمنى لو يرى ليوپاردى بعد أن سمع عنه الشىء الكثير ، فقصده فى عزلته فمال اليه وأعجب به وكتب عنه « اذا كان دانتى نجمة صبح فى سماء إيطاليا ، فان ليوپاردى هو نجمة مسائها »

لليوپاردى صفحة مؤثرة كتبها فى ليلة تحت أضواء القمر والنجوم المشعة ، ذاهبة نفسه فى الليل العميق كل مذهب :

[وفى ذلك المساء كانت نافذتى مفتوحة ، وناظرى يتمتع فى هذا الصفاء السماوى وشعاع القمر المتهادى . أتروح نسيما عليلاً ، وأصغى إلى عواء الكلاب المتناوحة فى مواطن قصية عنى . تخيل الى أن صوراً ترق إلى نفسى وأن قلبى يتسلط عليه قلق غريب ، فهتفت كمن أصابه مس ، طالباً رحمة الطبيعة التى خيل الى أنها تسمعنى . فى هذه اللحظة ألقيت أنظارى على ماضى ، فتجمدت من الخشية اعضائى ، وأنا لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن الناس أن يتحملوا الحياة بدون أوهام ولا أفراح ولا عواطف ، بدون خيال ولاهيام ، وبدون ما كان يملأ وجودى قبل عام ، ويجعلنى سعيداً برغم مخاوفى ، أما اليوم فانني يابس كالقصبة ، لا عاطفة تتمشى فى حنايا نفسى البائسة ، وقوة الحب الخالد المطلقة قد ماتت وهلكت فى العمر الذى أنا فيه .]

كم مرة ذكر ليوپاردى هذه الليلة العنيفة ! وكم مرة تمثلت له هذه الليلة وهو ينظر فى المروج الفضية الهادئة يغمرها نور القمر. وهو ينجلى وراء (الابينين ، وقمم الألب الشامخة) أويتهادى على حضن البحر اللانهائى ، وسائق العجلة يردد أغنيته الحزينة ، مودعا آخر شعاع النهار » ثم يردد الشاعر : [وهكذا يغادر الشباب الحياة ويتركها تخمد رويداً رويداً ، الاوهام الجميلة تتطاير مع الآمال التى كانت مساعدة للانسان ، ولكن أنتن أيتها الروابى التى ينحدر عنها النور ، أنتن لن يغشاكن الظلام طويلاً . . . ولكن حياة الانسان بعد فرار الشباب لن يلونها شىء ، وستظل غريبة حتى النهاية . . . والقبر وحده هو الذى يضع حداً لليل عمرنا !]

وفى عام ١٨١٨ نظف الشاعر رأسه من كل شىء . طلق الايمان وودع الاوهام ، فبقى وحده وسط خرائب جسده وروحه ازاء عالم فارغ وتحت سماء من نحاس ، ومنذ ذلك العهد لم يتغن الشاعر إلا بأنشودة الشك التى رافقته حتى ودع الحياة

— ٤ —

وأخيراً نزع عنه الشك العابس كل ايمان بالله والخلود والعناية ، فتلاشى منه كل شىء وانصرف عنه كل شىء ، فلا آله عنده غير

الطبيعة ، تلك القوة العمياء التي لا تُدرك ، يسألها عن سر الاشياء فتجيبه « وأنا طائعة للمقادير ، أما أسباب الاشياء فهى ألغاز ، لاأنا ولا أنت نستطيع ادراكها ، فالأجدر ببني الانسان أن يصرفوا عيونهم عن هذه الألغاز التي تُقلقهم ، فان حلّها كلما خُيّل الينا انه صار قريباً زاد عنا بعداً »

لننظر ما هو الايمان الجديد الذى اعتنقه الشاعر فى بعض مقطوعاته (مومياء تُبعث) بعثاً مقيداً بلحظة زمنية ، يسألها فيها « كيف ماتوا وماذا وراء الموت » ؟ ولكنها تجيب « اسكت ! لم يحن وقت الجواب . . . » وهكذا تكر هذه اللحظة ، وتعود المومياء الى رقادها الأبدى .

وهنالك مقطوعة صغيرة تدور حول رجل (ايزلاندى) فرّ فى الأرض على وجهه من الطبيعة ، ولكنه تلاقى معها فى وسط الصحراء ، فألح عليها بأسئلة كثيرة منها هذا التأنيب :

[لماذا قذفتِ بى فى هذا العالم دون استشارتى ، ولماذا بعد ايجادك لى لم تشغلى نفسك فىّ ؟ فما هى غايتك ؟ وماعسى تبتغين ؟ وماذا تريدين ؟ هل أنت لئيمة أم عاجزة ؟]

فأجابته الطبيعة : بأن ليس لها الا سأم واحد وواجب واحد أن تُدير دولاب العالم دورة واحدة يتاجى فيها الموت الحياة ، والحياة الموت . وإذ ذاك سألها الرجل «ومن عسى يبتهج بحياة هذا العالم الذى لايبقى ولايدوم إلا بموت كل الاجزاء التى تؤلف عناصره ؟ ولكن الطبيعة لم تجشم نفسها عناء الجواب . . . وإذ ذاك انقض أسدان جائعان عليه فالتهماه فهوى هيكله على التراب منتظراً أن يسقط كلاهما بدورهما على رمال الصحراء .

السكوت هو الجواب البليغ على هذه الأحاجى والاسرار ، لأن المستقصي عنها لن يرى إلا جداراً يعثر به ويدفعه الى الوراء ، وإذا سار فلن يسير إلا فى صحراء لايجد منها مخرجاً .

لم يختر ليوپاردى شيئاً من حياة المستقبل ولا الحاضر ، ولم ينظر الى مستقبل الانسانية ، ولم يجرب أن يقف هواه على شىء فى الحياة ، واذ أراد أن يمجد وطنه فلن يرى شيئاً جديراً بالتمجيد إلا ذلك الماضى ، أما الغد فهو لايؤمن به

[أيها الأسلاف العظماء ، ألا تزالون تصونون لديكم شيئاً من الرجاء فينا ؟ ألم نهلك نحن جميعاً ؟ انني محطم لا أملك أية قدرة أجابه بها الشقاء ، أما المستقبل فهوجهم فى عيني ، والذى أتبينه هو الذى يريني الأمل حلماً أو جنوناً]

لهجته — أينما صعدت — مبطنة بالكآبة العميقة التى لايخفف منها مجد ولا علاء . يُسألُ عن الرجل العظيم فيقول « هو اسم سرعان مايصبح كاللاشىء . ان فكرة الجميل تتبدل دائما مع الزمن . فالمسائل العلمية سرعان مايتفوق عليها غيرها وتصبح نسياً منسياً ، وإن أدنى رجل رياضى منا يعرف أكثر مما يعرف (غاليلوونيوتن) فالمجد ماهو إلا خيال ، والبراعة التى تكون مكافأة للمجد ليست إلا حاضراً مشؤوماً لمن يتقبلها » ثم يتكلم عن دانتى ويقول . « وعلى هذه الأرض القبيحة لم يؤثر إلا الجحيم ، وأى منزل فى الحقيقة لايفضل على منازلنا الأرضية ، ان الشقاء الذى يؤلنا هو أقل ثقلاً وأقل شراً من السأم الذى يخنقنا . ألا أيها السعيد ، أنت الذى حياتك فى بكائك» وينظر ليوپاردى الى المستقبل نظرة سوداء ويعتقد أن الأجيال تسفل ولا ترتقى ، ويسخر من المتأملين فى تسامى الأحفاد

هنالك راع يخطر على قمم جبال (حملايا) متكئاً على عصاه يطيل التأمل فى السكون المحيط به ، وينظر الى القمر الهائم مثله فى السماء فيسأله : [قل لى أيها القمر ! ما قيمة حياة الراعى ، وما قيمة حياتك أنت ؟ بل ماقيمة حجى الفقير وسُراك الأبدى ؟ أنت أيها المسافر المنعزل الخالد والملك المفكر ، ربما تفهم أنت حياتنا وآلامنا وتنهداتنا ، وربما تفهم الموت والصفرة السامية ، وسفر الأرض ووداع الصداقات الجميلة . انك بلا شك تفهم أسرار كل هذه الاشياء ولكني لاأفهم ولاأعرف إلا شيئاً واحداً . ليأخذ البعض من هذه الحياة خير ما فيها ، يستنقذونه من ثوراتها الهوجاء ومن كائناتها الضئيلة . قد يمكن لهم ذلك . ولكن الحياة هى شر من اجلى]

وهل فى هذه القطعة إلا اليأس من الحياة والكفر بها فى شعر جميل ؟

«يتبع» خليل هنداوى

العلوم

تغير شكل الأرض من الكروية

بقلم نعيم على راغب

دبلوم عال فى الجغرافيا

كلنا نعرف أن الأرض التى نعيش عليها كروية الشكل . وقد برهن علماء الجغرافية على صحة هذه النظرية ببراهين عديدة كانت ولازالت موضوعاً من مواضيع دروس الجغرافيا فى المدارس ، من أهمها الظل المستدير الذى تلقيه الأرض على سطح القمر إذا ما حالت بينه وبين الشمس .

إلا أنه قد ظهر أخيراً بين العلماء المحدثين من يقول بأن الأرض يتغير شكلها من كروى وهو ما يطلق عليه Spheroid الى شكل هرمى له أربعة أضلاع ، كل منها مثلث متساوى السيقان .

والنظرية لا تعتمد فى إثباتها على براهين نظرية أو خيالية ، وانما تعتمد على حقائق جغرافية ملموسة موجودة فعلاً على الأرض ، فهى براهين عملية ثابتة . وسأنقل النظرية لحضرات القراء ملحقاً كل نقطة بالتفسير الكافى وذلك لخطر الموضوع الذى نبحث فيه وخطر النتيجة التى تنتج عن إثباتها علمياً .

قال صاحب النظرية :

« هناك على سطح الأرض منخفضات لم تغمرها المياه بعد ، من أهمها ذلك المنخفض العظيم الذى يقع فيه بحر الكاسبيان[1] The Caspian sea الذى يفصل وسط وشرق آسيا عن أفريقيا وأوربا ، والذى غمرته المياه فى العصور الحديثة . اذا علمنا هذه الحقيقة الجغرافية وعرفنا أن هذا المنخفض Depression على اتصال بالمنخفضين اللذين تغمرها مياه المحيطين الأطلسى والهادى سهل علينا أن نفهم أو نعرف كيف أن شكل الأرض يبعد عن الكروية بالتدريج مقترباً نحو الشكل الهرمى Tetrahedron Shaep »

(١) لعله بحر قزوين

فى هذه النقطة يمهد صاحب النظرية الطريق للفكر لتسوغ نظريته ، وذلك بالقاء حقائق جغرافية ثابتة يرى أنها تساعد على فهم نظريته اذا ما أراد البرهنة عليها . وها هو ذا بعد ذلك يريد أن يعلل سبب اتخاذها الشكل الهرمى دون سواه مستعيناً فى ذلك بحقائق جغرافية أخرى . فيقول :

« باطن الأرض لا زال حاراً منصهراً يبرد بالتدريج ، فهو يقل حجماً بالبرودة . ولما كانت القشرة الأرضية صلبة لا يمكنها تقليل حجمها تبعاً لذلك فانها تتقلص وتتغير من شكلها تبعاً لانكماش باطن الأرض فتتخذ الشكل الهرمى » .

أى أن باطن الأرض حارٌ ملتهبٌ منصهر ، ولكنه يبرد بالتدريج ، فسيجىء وقت مستقبل يصل فيه الى أقصى درجة ، أى لدرجة التجمد ، وعندها يقل حجمه تبعاً لقانون الانصهار . وبما أن الحيز الذى كان شاغلاً له قبل التجمد سيكون جانب كبير منه بعد ذلك شاغراً ، فان القشرة الأرضية أو الغلاف الخارجى سيضطر بفعل الفراغ الداخلى أن يغير من شكله لملء هذا الفراغ مع عدم تغير فى حجمه . وقد وجد الأستاذ صاحب النظرية أن الأرض سائرة فى هذه الطريق ، وأنها ستتخذ الشكل الهرمى دون سواه لحقائق جغرافية تبرهن على صدق قوله وصحة اعتقاده . ولظنه أن هذا الشكل يمكن القشرة الخارجية من التمشى مع وصول الباطن الى أقل حجم ممكن دون المساس بحجم الغلاف الخارجى .

« ولو أننى أعرف جيداً أن المعضدين لهذه النظرية أقلية صغيرة إلا أننى أقول إن هنالك حقائق جغرافية كثيرة تؤيد وجهة نظرى وتبرهن على صحة نظريتى :

أولاً : تركز اليابس حول مساحة مائية فى النصف الشمالى من الأرض

ثانياً : كل مساحة مائية فى جهة يقابلها كتلة أرضية فى الجهة الأخرى

ثالثاً : وجود ثلاثة مناطق مرتفعة تكون عقداً أو أحزمة

القصص

الدون جـوان

لموليير العظيم

ترجمة حامد اسعد محمد

الفصل الرابع . المنظر الثانى

(الدون جوان أحد فقراء الأشراف الفرنسيين . يغلق بابه دائماً فى وجه الدائنين . يحضر المسيو ديمانش بائع الملابس والخائط وهو أحد دائنى الدون فيطلب مقابلته)

الخادم زجانارل : سيدى . قد حضر المسيو ديمانش وهو يريد التحدث اليك .

الدون جوان : دعه يدخل . ان التهرب من مقابلة الدائنين لا يجدى نفعاً . سأعمل جهدى لاستقباله استقبالاً حسناً دون أن أدع له فرصة المطالبة بدينه

(يدخل المسيو ديمانش)

الدون جوان : أهلاً وسهلاً بالمسيو ديمانش . كم أنا مسرور برؤيتك . وكم أنا آسف لأن الخدم تركوك تنتظر فى الخارج أكثر مما ينبغى . ولكن معذرة ، إذ أننى أمرتهم بعدم دخول أحد ، ولكن هذا الأمر طبعاً لا يسرى عليك فان لك الحق أن تحضر دائماً دون أن يمنعك أحد .

المسيو ديمانش : سيدى . أنا عاجز عن شكرك . لقد حضرت لـ . . . .

(يقطع الدون جوان عليه حديثه فينادى خادمه)

الدون جوان : اسرع باحضار كرسى (فوتيل) للمسيو ديمانش .

المسيو ديمانش : سيدى . لا داعى (للفوتيل) . إننى مستريح

الدون جوان : لا . أبداً . يجب أن تجلس بجانبى

المسيو ديمانش : لا ضرورة لذلك . لقد أتيت فقط لـ . . . .

(يمنعه الدون جوان من إبداء الغرض من زيارته له فيقول للخادم)

الدون جوان : خذ هذا الكرسي الصغير وأسرع باحضار (فوتيل)

المسيو ديمانش : سيدى . أنت تهزأ بى . لقد جئت لـ . . . .

الدون جوان : لا . لا أقصد السخر منك . إننى أود أن أستقبلك كما يليق بك . وأود ألا أجعل هناك فرقاً بينى وبينك .!

المسيو ديمانش : سيدى . . . .

الدون جوان : تفضل بالجلوس .

المسيو ديمانش : لا ضرورة للجلوس يا سيدى . أريد أن أقول لك كلمة فقط . لقد حضرت لـ . . . .

الدون جوان : تفضل بالجلوس .

المسيو ديمانش : لا ضرورة لذلك يا سيدى . انى مستريح كذلك . لقد حضرت لـ . . . .

الدون جوان : لا . لا . لن أستمع اليك حتى تجلس .

المسيو ديمانش : سيدى . سأفعل ما تريد . لقد حضرت لـ . . .

الدون جوان : ماشاء الله يا مسيو ديمانش . إن صحتك جيدة جداً ! !

هــذه هى النظرية أقدمها لحضرات علماء الجغرافيا فى مصر راجياً الأدلاء برأيهم فيها . على أنه يجدر بى أن أذكر أن هذا التغير والتطور فى شكل الأرض هو تغير تدريجى بطىء يحتاج لآلاف السنين ، وأنه لذلك يمكن اعتبار الأرض التى نعيش عليها كروية أو قريبة للكروية ولو أنها فى الحقيقة سائرة فى طريقها الى تغيير شكلها الذى نعرفه .

المسيو ديمانش : نعم ياسيدى . أنا فى خدمتك . لقد حضرت لـ . . . . !

الدون جوان : إنك فى صحة حسنة حقاً . وجهك متورد . وعيناك يلمع فيهما بريق القوة .

المسيو ديمانش : أنا شاكر لعطفك ياسيدى . لقد حضرت لـ . . . !

الدون جوان : كيف حال مدام ديمانش زوجك ؟

المسيو ديمانش : نحمد الله ، إنها فى صحة جيدة ياسيدى .

الدون جوان : انها امرأة طيبة القلب حقاً .

المسيو ديمانش : انها خادمتك ياسيدى . لقد حضرت لـ . . .

الدون جوان : وكيف حال ابنتك كلودان ؟

المسيو ديمانش : انها على أحسن حال ياسيدى .

الدون جوان : كم هى جميلة وذكية . انى أحبها من كل قلبى

المسيو ديمانش : انه لشرف عظيم لها ياسيدى . لقد حضرت لـ . . .

الدون جوان : وطفلك كولان . ألا يزال يكثر من ضوضائه ؟

المسيو ديمانش : نعم ياسيدى . لقد حضرت لـ . . .

الدون جوان : (ضاحكا) وكلبك « برسكيه » لايزال يعض كل من يزورك ؟ !

المسيو ديمانش : اكثر من قبل ياسيدى . ولكنى جئت لـ . . . . .

الدون جوان : لا تعجب من كثرة أسئلتى عن أسرتك فاننى أحبها كثيراً وأود سماع كل ما يتعلق بها .

المسيو ديمانش : اننا عاجزون عن شكرك ياسيدى . لقد . .

الدون جوان : (يقف ويمد يده للمسيو ديمانش مشيراً بذلك الى أن المقابلة انتهت)

ضع يدك فى يدى كصديق

المسيو ديمانش : انى خادمك ياسيدى .

الدون جوان : يا إلهى ! كم أنت رقيق وظريف . انى أحبك كثيراً

المسيو ديمانش : انه لشرف عظيم ياسيدى . لقد حضرت لـ . . .

الدون جوان : انى على أتم استعداد لعمل كل ما تريد .

المسيو ديمانش : سيدى . لقد أحسنت إلى كثيراً .

الدون جوان : وكل هذا بدون مقابل

المسيو ديمانش : إنى لا أستحق كل هذا العطف . ولكننى حضرت لـ . . . . .

الدون جوان : العفو يامسيو ديمانش . هلا شرفتنى بتناول العشاء معى هذه الليلة ؟

المسيو ديمانش : شكراً لك ياسيدى . يجب أن أرجع إلى منزلى فى الحال . لقد جئت لـ . . . . . .

الدون جوان : (يقف ويمد يده للمسيو ديمانش اشارة إلى أن الأخير يجب عليه أن يستأذن فى الانصراف)

أسرع يا زجانارل وأحضر الشاعل لتوصيل المسيو ديمانش . وخمسة من خدمى بأسلحتهم لحراسته اثناء رجوعه إلى منزله

المسيو ديمانش : (يقف أيضاً مضطراً) سيدى . لاضرورة لكل ذلك . يمكننى الرجوع وحدى ، ولكننى جئت لـ . . . .

(يأتى الخادم فى الحال ويأخذ الكرسى الذى كان يجلس عليه المسيو ديمانش)

الدون جوان : كيف لا ياسيدى وأنا خادمك أو بالأحرى مدينـــك ؟

المسيو ديمانش : (تنبسط أسارير وجهه ويقول) آه . سيدى

الدون جوان : انه فضل لا يمكن أن أخفيه . وانى لأعترف به امام جميع الناس .

المسيو ديمانش : شكراً . اذاً لقد حضرت لـ . . . . .

الدون جوان : ألا تتنازل بالسماح لى بأن أوصلك ؟

المسيو ديمانش : سيدى . انك تهزأ بى . سيدى لقد . . . .

الدون جوان : ضع ذراعك فى ذراعى إذا تفضلت . أود أن تكون على ثقة من أننى خادمك . وانى على استعداد لأبذل لك كل غال ونفيس

(يخرج المسيو ديمانش ويوصله الخدم الى بيته)

حامد أسعد محمد عاشور

مجموعة السنة الأولى للرسالة

قصة في رسائل

سعادة لم تتم

بقلم عبد الوهاب الخطيب

صديقي :

تسألني مابالك كثير الاطراق ، دائم التفكير ، حائر البصر ، مشرد اللب ، بادية عليك علائم السقم ؟ كأنك تعالج كتمان أمر في نفسك شديد على لسانك إعلانه . أو تشكو داء لا قِبل لمثلك باحتماله . وتعلم ياصديقي أنني كنت قبل ذلك مرحاً غاية المرح ، طروباً نهاية الطرب ؛ وأنني كنت في مرحي وطربي لا أخرج عن كوني شاباً سعد حقبة من الزمان بالأمل الباسم وعين الزمان نائمة — والأمل جذوة الشباب وشعلته ، وروحه وقوته ، ومرحه وطربه ، ولهوه ولعبه — فكنت بما بين ضلوعي من أمل أجري مع الشباب الى تلك الغاية التي رسمتها لنفسي ، مستسهلاً في سبيلها وراء الأمل كل صعوبة أمام الشباب ، حتى إذا كنت من آخر المضمار قاب قوسين أو أدنى ، فتح الدهر عينيه ، ثم تثاءب وتمطى ، ثم التفت إليّ ونظر نظرة أنت تعلم ماذا كان وراءها !

يا ويحي ! ! لقد تأنق في مكروهي القدر ، أخ في الورد من أيامه بالورد عثر ، وعم ظلاله المشيب ففر منه ونفر ، وأمل على آثارها تحطم واندثر . ثلاثة أشباح كانت صروح سعادة ومنتديات أحلام ، لم يفارق العين خيالها ، ولم يهدأ القلب من طعناتها ، ولم أفتأ أذكرها من حين الى حين .

قلت قضاء حمّ ، وأمر من الله نفذ ، لاراد لقضائه ، ولامعقب لحكمه ، واستعنت الله على هذه النوازل فأعانني ، واستهديته فهداني . وإن كانت في القلب جرات من الأسى ، مغطاة برماد من الصبر خفيف ضئيل . . ولبثت على ذلك برهة كانت أقصر من عمر آمالي وسنات أحلامي ، لم أشعر فيها بشيء من معاني الحياة ، اللهم إلا بذكرى في قلبي تتمثل ، وخيال أمام عيني يتنقل . وكنت مع ذلك أرى كما يرى الناس ، وأسمع كما يسمعون ، وأسير كما يسيرون . غير أني كنت أنظر بعينين فيهما انكسار من بقايا آثار المدامع ، وأسمع بأذنين فيهما رنين من صدى تلك الفجائع ، وأمشي على قدمين يؤودهما حمل هذا الهيكل السقيم الناحل المتهدم ، مشي من حنت ظهره السنون ، وأثقلت كواهله الليالي والأيام ! !

ثم رأيتها لأول مرة ، وقد ألقى عليها بارئ النسم ثوبين ضافيين من جمال وجلال ، فأحسست نحوها بحنان كأنه رقة العشق ، سرى في دمي سريان الكهرباء في أسلاكها ، ومكثت طول يومي أفكر فيما سيصير اليه أمري بعد تلك النظرة التي كانت توفيق أقدار لأقدار .

يا لله يا صديقي ! لشد ما ملكت على إحساسي وشعوري في المرة الثانية ؛ والقلب الهواء تجد فيه كل غيداء فراغاً لها . وكان قلبي لا يزال واقفاً على أطلال الأمل ، يندب شجوه ويبث لوعته . فنظر اليها نظرة كنظرة إبراهيم في النجوم وقال إني سقيم . وكأنما أرادت أن تداويه كما يتداوى شارب الخمر بالخمر ، فرنت اليه بنظرة جمّعت شعبه ولمت شتاته ، وأطفأت لهبه وأحيت مواته ، فالتفت في مثل انكسار جفونها ، ورفع الراية بالاذعان في شكر ، والتسليم في طاعة . ثم كان بعد ذلك ما كان .

أخذ فكري يسبح رويداً رويداً في ملكوت لا نهاية له من الخيال وراء هذه الظاهرة الغريبة التي ملكتني ، وأصبحت أشعر بحياة جديدة فيها معني حائر بين سعادة لا نهاية لها ، ذلك أني احتويتها في جوانح القلب ، واتخذت من عبقري جمالها ريشة لعبقري خيالي ، فكان لا يرتسم في ذهني معني إلا وفيه من حسنها مثال ، ولا يقع نظري على شيء إلا وفيه منها رونق بهجة أو شعاع جمال ، تلك سعادة علوية ساحرة قاهرة ، تغطي على كل سعادة في الأرض لتظهر هي في صورتها البديعة اللطيفة فتنة لمن يراها أو يحس بها من الناس أجمعين .

لا أستطيع يا صديقي أن أصفها لك ، فهي روح ، والروح لا توصف ، وهي حياة ، والحياة لا يمكن إنساناً في الوجود تكييفها ، وهي مع هذا وذاك سر لايدركه غيري ، ولايحسه أحد سواي ، وكل ماأستطيع أن أقوله لك إنها مشرقة الطلعة ، معتدلة القامة ، مطمئنة السير ، فيها لمحات محدودة من الانسانية العالية السامية . هبطت بها الى هذا الملأ الذي نعيش فيه كدليل حسي على أسمى مراتب الجمال وأتم مظاهر الجلال .

لقد مضت على يا صديقي مدة تزيد على ثمانية عشر شهراً ،

لم أحاول فيها أن أطرق سمعها — على قربها مني — بكلمة واحدة تفهم منها ما يكنه قلبي من الحب لها والوجد بها ، وكم تمنيت أن أسمع من فمها الرقيق الباسم الحالم كلمة واحدة ، فلم أجد إليها من سبيل ، كما أني لم أملأ منها عيني حياء وخجلا ، واكتفاء بصورتها المرسومة فى حبة القلب وفوق صفحات الخيال ، على أن طريقي كانت تتحول تبعاً لها على غير قصد مني ، حتى إذا لم يكن من توديعها بالنظرة بد ، وضعت يدى على صدرى كمن يتلمس شيئاً فقده ، وما فقدت إلا قلباً تقطر كالدمعة الحمراء من بين أهداب الجفون .

لا يزال صولجان المقادير يقذف بقلبي فى واد من الذكريات القديمة ذى ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ، كلما طال عليّ الأمد فى لقائها ، والآن يا صديق وقد مضت على مدة تزيد على شهرين لم ألمحها فيها لمحة واحدة ، أقول لك إن هذا هو سر اطراق وتفكيرى ، فلا تسألن عن شئ بعدها حتى أحدث لك منه ذكرا ؟

٢١ — ٧ — ١٩٣٢ صديقك جمال

***

صديق :

أوقد فعلتها ؟ يا قلبي !! ما كان أحرصني على الاحتفاظ بالسر وكتمانه ، لولا أنني أعتقد أن لى من قلبك وإخلاصك ووفائك ما يجعلني أستريح إلى أن أبوح لك (فى شيء من التحفظ كثير وبعد مضى زمن على كتمان هذا السر طويل) بما كنت أقاسيه آناء الليل وأطراف النهار من لواعج قلبي ، وزفرات أنفاسي ودموع عيوني ، ولكن غفر الله لى ولك يا صديق ما تقدم من ذنبنا وما تأخر ، فان هذه القلوب الطاهرة البريئة ، المكتهلة فى شبابها ، الرزينة فى حبها ، لا يمكن أن تتصل فى يوم من الأيام بغير ما يماثلها شرفا وطهرا ، ورزانة ونبلا .

ولئن وقع خطابي فى يد غير يدها ، ورأته عين غير عينها ، وطرقت نبراته الحزينة سمعاً غير سمعها لخطأ فى الاسم كما يقال ، فانني لسعيد مغتبط ، هنيء ملء قرارة نفسي وطوايا فؤادى ، ذلك أن خطابي وقع فى يد شريفة وعند قلب ذى إحساس سام ، يعرف المعنى المرتسم فيه كما أريد ، وأغلب الظن أن الله قد يهيئ لى من أمرى هذا رشداً . ولعله يكون قريباً والسلام ؟

١٤ — ٩ — ١٩٣٢ صديقك جمال

***

عزيزتي :

عبثاً كنت أخادع قلبي بالسلو عنها أو الافلات من براثن حبها بعد أن جاءنى خطابك الأخير ، فانها لم تدخل قلبي إلا بعد أن صهرته آلام الحياة وأحزانها ، وأصبح نقياً شديد الايمان بقضاء الله وقدره ، صادق الاحساس بما يجرى حوله فى الحياة من مظاهر خادعة وأخرى مخدوعة ، مطمئناً الى الحياة من حيث هى وجود ناقص حيناً وتام أحياناً ، عالماً أن لكل شيء نهاية لا بد وأن ينتهى اليها

ولقد أيقنت من يوم أن أحسستها تجرى فى دمى أن الله قدر لى أن أحبها ، فأحببتها لنفسى ، وأحببتها لأن الله أراد ذلك ، وكان قلبي صادق الحس بها ، فلم تكن خادعة ولم يكن مخدوعاً ، وكان وقوراً حكيما فاكتفى بأن يحبها هو من غير أن يتساءل ما هى ميولها نحوه ؟ وهل تعلم أن فى العالم المحيط بها قلباً يرفرف عليها فى غدوها ورواحها ، فى مسائها وصباحها ، فى يقظتها ومنامها ، فى دمعتها وابتسامها ؟ ومن هو صاحب هذا القلب ؟ وبعد ذلك اطمأننت الى أن الحياة من حيث هى وجود ناقص ، هى تلك الساعات التى لا تجرى فيها المدامع من شوق ، ولا تسيل فيها النفوس من ذكريات وحنين ، وأيقنت بعد هذا وذاك أن الحب كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، ولا يقال فى نقطة منها إنها نهاية إلا قيل فى نفس الوقت إنها بداية

لقد ذهبت بك الظنون كل مذهب فى أمرى ، بل أيقنت أنك قد أصبت المرمى حين أرسلت إليّ خطابك المفوّق ، وإنى أقول لك بلغة يقطر منها الشكر إن خطابك كان فيه الشفاء لقلبي من الناحية التى تريدينها ، وإنى ما سكتُّ هذه المدة إلا لأختبر قلبي وأستشير عقلى ، أما القلب فلم يجد عنها حولا ، وأما العقل فأشار بأخذ رأيك فيها من جهة ميولها نحوى ، فان كنت عندها شيئاً فابسمي يا دنيا ، وأشرق يا أمل

كنت فى بعض الأيام أراها ، فيحترق قلبي من الشوق اليها وهى أمامى ، ولا يكاد نظرى يلتقى بنظرها حتى ينقلب إليّ خاسئاً

وهو حسير ، وكنت أستجمع قواى كلما رأيتها لألقى اليها بالتحية فيحتبس لسانى من العى — لا طبيعة فيه ولكن جلالا لا أدرى له مدى ، وجمالا لا أعلم له غاية ، وسحراً بين هذا وذاك قوياً شديداً ، كانت ثلاثتها تقيد لسانى عن النطق تقييداً أعتبر نفسى منه فى حد من السعادة محدود — ولقد كان الجو المحيط بنا يمرح فى عبق من أنفاسها وتحايا قلبى ، غير أنها كانت كالزهرة تفوح رائحتها عند الصباح ، وكان قلبى كعود الصندل ، كلما لامسته النار فاح .

مرت تلك الأيام كأحلام الكرى لذيذة مستعذبة ، قصيرة كالنظرة ، طويلة كالعبرة ، وخلفتها أيام أعانى من مرها ما أعانى !

فلقد سافرت الى البلدة لقضاء بضعة أيام هناك ، وكأنما كانت الأسقام منى على ميعاد :

يا ويح أهلى يرونى بين أعينهم على الفراش ولا يدرون ما دائى

ومكثت هناك بدل سبعة الأيام التى صرح لى بها سبعة عشر يوما . ثم عدت الى القاهرة وفارقت الحى الذى ولد فيه هواى وترعرع ، إلى حيث أنا الآن ، وهأنذا أبعث إليكما منه وراءقلبى بتحيات كأضغاث الريحان لاتكاد تبلل بندى المدامع حتى تجفف بزفرات الأنفاس ، والسلام ؟

فبراير سنة ٣٣ جمال

***

صديق :

كتب أحد الحكماء الى صديق له يقول «ياأخى إن أيام العمر أقل من أن تحتمل الهجر» وكنت قرأت فيما قرأت كلمة للامرتين يقول فيها « إن الحب القوى المطمئن صبور » فأنا بين هذين فى حيرة ، ترى متى أهتدى إلى سبيل ؟ ؟

مارس سنة ٣٤ جمال

***

أختى سعاد :

لماذا لا تكونين بجانبى فى كل لحظة كما كنت من عهد قريب ؟ أنا فى شدة الشوق إليك وإلى سماع حديثك العذب الجميل ، وكم أود أن أفضى إليك بسر يجيش به صدرى ولا يمكن أن ينطلق به لسانى لغيرك .

كنت إلى الأسبوع الماضى فارغة الفؤاد ، وكنت على أن أطلب إليك الحضور لأناقشك موضوعاً خطيراً قرأته ليلة أمس فى رواية «مجنون ليلى» وهو لماذا حكم على ليلى بالموت قبل قيس؟ ألأنها كتمت حبها ؟ إن كان الأمر كذلك فانى — خوفاً على حياتى الشابة — أقول لك ياعزيزتى — واثقة منك كل الوثوق — إننى بدأت أشعر بقلبى يميل رويداً رويداً الى شاب كان يطالعنى بعض الأحيان كئيباً حزيناً كأنه دفن قلبه بيده ، رأيته على حالته تلك منذ ثلاثة أعوام ، ويخيل لى أنه محب يكتم حبه أيضاً .

ألا ما أسعد تلك الفتاة التى تتيح لها المقادير مثقال حبة من احترام هذا الفتى النبيل ! !

ضمى ياعزيزتى بجانب هذه الجملة سعادة من استولت على قلبه كله .

أرجو أن أراك يوم الخميس المقبل والى اللقاء . ؟

٢ أبريل سنة ٣٤ اختك فتحية

***

وفى عصر الخميس تلاقت الصديقتان فى منزل فتحية هانم ، وكان بيد الآنسة الزائرة إحدى جرائد المساء ، فجذب نظر فتحية اليها صورة شاب غضير الشباب فى صدرها فتناولت الجريدة من صديقتها ورأت الصورة وقرأت تحتها ما يأتى :

(المرحوم جمال الدين افندى الموظف بوزارة المالية ، علقته المنون وهو فى بريق شبابه)

فامتقع لونها وأدركتها حال شديدة من الذهول والحيرة ، فأقبلت عليها صديقتها تسألها ما بها ، فقالت لها وهى تشير الى الصورة الضاحكة ، والخبر المبكى :

أمل لم يزدهر ، وناشئة حب لم تبق ، وسعادة مرجوة لم تتم !

ثم ألقت فى يدها مجموعة من الرسائل البالية ، وقالت والدمع يسيل على خديها ، ومرارة الأسى تجرى على شفتيها : اقرئى !

عبد الوهاب الخطيب

فهرس المجلد الأول من السنة الثانية

طلب الينا كثير من قرائنا أن نجعل للمجلد الأول من السنة الثانية للرسالة فهرساً خاصاً يجلد معه . ونزولاً على ارادتهم سنتحين الفرصة القريبة لطبع هذا الفهرس وتوزيعه

مجـــلة آخر ســاعة

« يحررها الأستاذ محمد التابعى ومعه زملاؤه ومنهم الرسام المشهور الأستاذ صاروخان »



(المصرى افندى) : ياجماعه . . انتظروا يا اخواننا . . يعنى فاكرين إنى رايح أفوتكم ؟ . لا والله . . رجلى على رجليكم ومعاكم على بركة الله !

﴿ تصدر مجلة آخر ساعة يوم السبت ١٤ يوليه ﴾